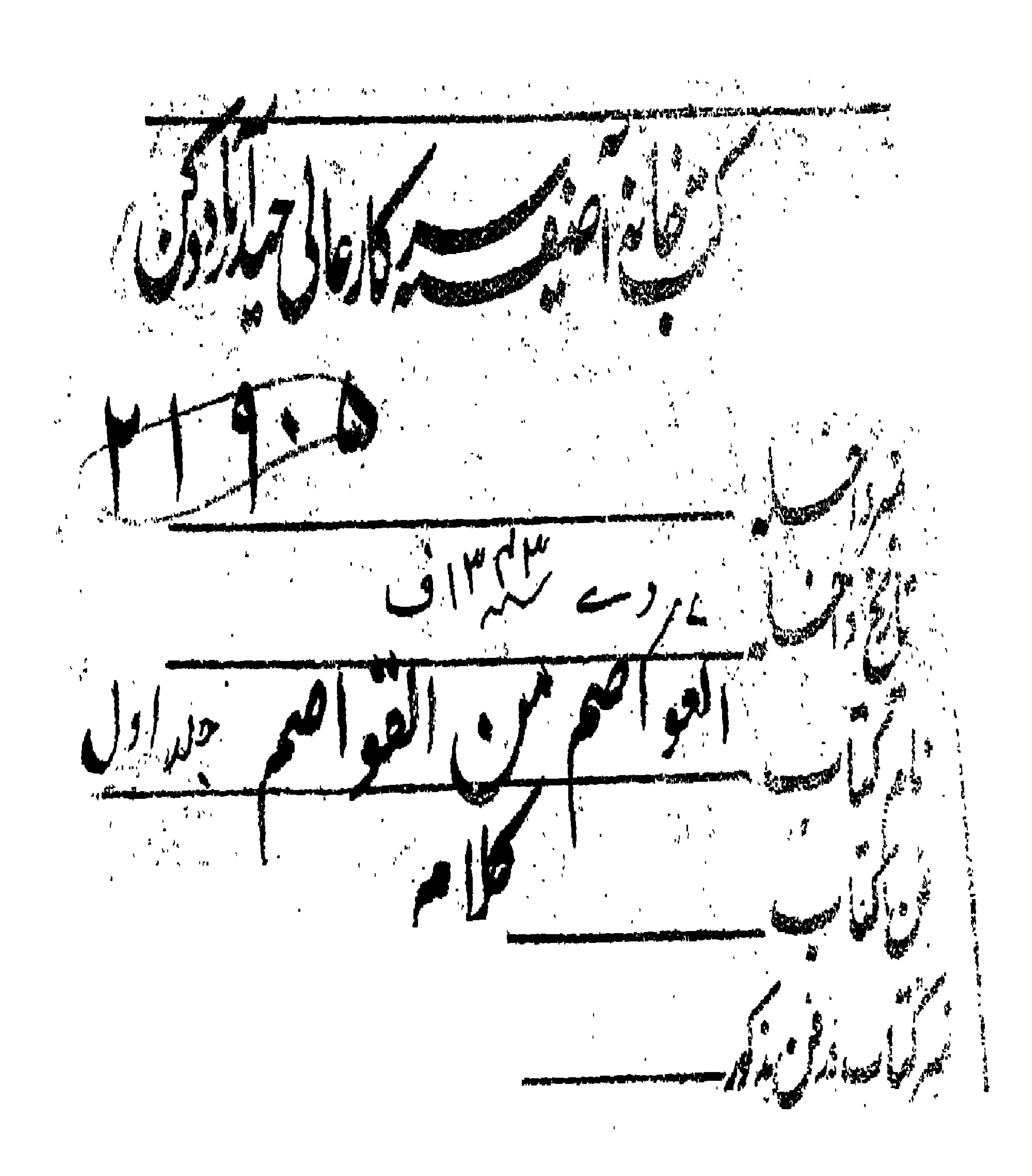


کتب خانہ آصفیہ سرکار عالی حیدرآباد دکن
۲۱۹۰۵
نمبر داخلہ
۷ ردے سنہ ۱۳۴۳ ف
تاریخ داخلہ
العواصم من القواصم جلد اول
نام کتاب
کلام
فن کتاب

كتاب

العواصم من القواصم

تصنيف الشيخ الامام قاضي القضاة

ابي بكر محمد بن عبد الله بن العربي

رحمه الله تعالى

وقف على طبعه وتصحيحه

الاستاذ عبد الحميد بن باديس

الطبعة الاولى

سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م

المطبعة الجزائرية الاسلامية

كتاب

العواصم من القواصم

تصنيف الشيخ الامام قاضي القضاة

ابي بكر محمد بن عبد الله بن العربي

رحمه الله تعالى

وقف على طبعه وتصحيحه

الاستاذ عبد الحميد بن باديس

الطبعة الاولى

المطبعة الجزائرية الاسلامية

سنة ١٣٤٥ هـ ١٩٢٦ م



وصلى الله على محمد وآله قال صالح بن عبد الملك بن سعيد قرأت على الامام محمد ابي بكر بن العربي رضى الله عنه قال الحمد لله رب العالمين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد ، اللهم انا نستمد بك المنحة ، كما نستدفع بك المحنة . ونسالك العصمة ، كما نستوهب منك الرحمة ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ، ويسر لنا العمل كما علمتنا ، واوزعنا شكر ما آتيتنا ، وانهج لنا سبيلا يهدى اليك ، وافتح بيننا وبينك بابا نفد منه عليك ، لك مقاليد السموات والارض وانت على كل شيء قدير .

اما بعد فان الله ببالغ حكمته ، وغالب قدرته ، وان كان واحدا في ذاته ، واحدا فى صفاته ، واحدا فى مخلوقاته ،فانه خلق الخلق نوعين ، وابدع من كل زوجين اثنين ، لان الوحدة له خالصة

حقيقة وبيانا ، فتكون الا ثنينية عليه دليلا وبرهانا . وفطر الآدمي فركب عليه وفيه الا زدواج ابتلاء ، يختلف به الحال استقالا واعتلاء ، اختفاء (١) وجلاء ، نعمة وبلاء ، ليرفعه في عليين ، او يقذفه في سجين : قال سبحانه لقد خلقنا الا نسان في احسن تقويم ، ثم رددناه اسفل سافلين ؛ عليه البيان : بين منزلتي الدليل والعيان ؛ وجعل فيه حقائق تشترك مع صفاته العلى واسمائه الحسنى في الحد ؛ وتنفرد عنها بالتعالى والجد : ذلك ليستدل بها عليه ؛ ويرجع في تحصيل العرفان اليه : وخلق له الملك والشيطان واخبر الصادق بواسطته وسطته ؛ ان العبد بين لمتين منهما تجتذبه كل واحدة الى جهته ؛ وتحاول وضعه في حصته . وتحصيله في زمرته . والرب قد احكم العاقبة بحكمته . واظهر هذا التدبير بقدرته . وانشا فيه العقل والهوى، وخلق له الضلالة والهدى . وشرح له النجدين استدراجا ليرد . وشرع له الدين منهاجا ليقارب ويسدد . وجعل له على كل واحد من الطريقين علما . ونصب عليه مناديا . فمنهم من تعرف فاجاب وعرف . ومنهم من

---

(١) في الاصل امتحالا

صدف فاني وحرف . والخير والشر مقرونان في قرن • والعقل والهوى معقودان في شطن • والدليل والشبهة يتحاربان(١) في ميدان واحد ويتسابقان الى عطن • والتوفيق والخذلان يتباريان على سنن • والعلم السابق والكلام الاول والكتاب الثانى يبرم اعلاقها • ويفتح اغلاقها ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حيي عن بينة وان الله لسميع عليم • يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو العزيز الحكيم • ومن اجل هذا ومن جرالا • جرى كل احد من الخلق مجراه • وتباينت المدارك في المناجى والمهالك • فلئن اضاء نهار الادلة لقد اغطش ليل الشبهات او اتضحت جادة التحقيق لقد خفيت بها بنيات • حتى خفيت واضحة الطريق • فاهتدى فريق وضل فريق • واعلام الحق وان كانت قد خفقت • فقد انتشرت الوية الباطل واستشرفت • والناس اتباع كل ناعق • لا يفرقون بين السابق واللاحق • وابناء ساعتهم • لا آباء عاقبتهم • اشفت عليهم القواصم السابقة • وحاقت فوقهم العواصم المتلاحقة • فان اكبوا على ما هم فيه هلكوا • وان لمحوا علوا اعتلقوا النجاة وادركوا • ولكل سابقة من القواصم • لاحقة من العواصم

---

(١) او يتجاريان

ونحن بتاييد الله ومعونته نرتقي في المعراج • الى التمييز بين هذا الا زدواج ، وبين ما فيه من قواصم المكر والاستدراج، وعواصم الا نقاذ والاخراج ، بفضل الله ورحمته • وهـدايته وعصمته • لا رب سواه • ولو شاء الله سبحانه لجرد الدلالات عن الشبهات • ولم يقسم المعارف الى الضروريات والنظريات • ولا خلق العبد مشحونا بالشهوات • متقاعدا عن العبادات مائلا الى الراحات • والكل شاهد ودليل . بفعل او قيل • كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون • وقال تعالى ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين • فتعارضت اسباب المقادير عليه ـ مع توجه الوظائف اليه ـ وصار لا يدري على اي صدغيه يقع ـ ولا من اي جهة يستبصر او ينتفع ـ ان اقامه الشرع الى العبادة اقعدتـه الراحة ـ او اراد العف بالكـف جذبتـه الاستباحة ـ

٭ قاصمة ٭ وصار بهذا الا رتباك ـ جملة عظيمة في يد الا شتباك ـ هاوين في دركات الهلاك ـ وتقطعت بهم الاسباب ايادي سبا في الضلالات ـ وسلكوا من الباطل في متاهات ـ تعطيل من غير تحصيل وكيد حائق(١) في تضليل ـ التقى الكـل في حيرة النظر في اربعة مواقف

(١) هذا اقرب ما ظهر من المحق

الموقف الاول

قالت طائفة لا معلوم ولا مفهوم ـ وانما المرء بوهة او بوم ـ وما تشبثوا (١) به خيالات لا تحقيق لها ـ اى شيء يوثق به لثباته وانت ترى الظل يتحرك وهو ساكن والنبات ينمى وهو واقف وتعاين الشمس فى مساحة درقة والقمر في قيد الجن والكواكب كهيئة الدنانير المنثورة وتقولون ان خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وانه معلوم بالخبر والادلة وتقولون ان الدنيا خيالات والحقائق في الآخرة وان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ، واذا كنت في نومك ترى امورا لا تشك انك على راس الحقائق فيها فاذا جاءت اليقظة ذهبت من يديك وافلت عنك ما كنت تظن انك آخذ بناصيته قابض له بيد العرفان تقوده بغاية البيان ، فما يومنك ان تكون يقظتك كذلك وانك الان على ما انت عليه من حقيقة في غير حقيقة (٢) * عاصمة * قال ابن العربي رضي الله عنه وهذا

---

(١) اى تتشبثوا

(٢) خرج في الهامش وعلي عدم من البيان في البيان خ

موقـف اول لا يدخله ليت ولا اختها لعل بل هو احسن وادل ، قال لي ابو علي الحضرمي بالثغر (١) حرسه الله وكتبه لي بخطه ليس هذا مذهبا لاحد ولا مقالة لبشر وانما تصدت الملحدة بذكر هذا (٢) البلاغت بالعا! لتسترسل العامة وهو محال فى محال سمي بالعربية هوسا وهذيانا ، وسمي باليونانية سفسطة يعنون خذلانا ، وقال ابو حامد الغزالي ان هذا الاشكال لا يتضح بالدليل وانما يروى منه القليل ويشفي العليل، ما يفيض من نفحات رحمة الله على القلوب ويشرق عليها من نـوره حـتي اذا انشرحت الصدور وصقلت الـقلوب تجلت فيها الحقائق مبادى وغايات وسوابـق ولواحق ، قـال الامام الحافظ وهذه ✻قاصمة✻ اعظم من الاولى فانها صدرت عمن اشتهر في العلم وقد انحط عن المرتبة العلى الى السفلى (٣) وتخرج عن زمرة العقلاء ولا ينجى منها الا ان تفهموا ✻عاصمة✻ ان هذه كلمة صدرت

(١) الاقرب من الحق
(٢) لعله البلاغة .... لتستتر عند العامة
(٣) كذا بالاصل

مناحي صوفية لانها تعتقد ان المعقول فوق المحسوس وانا وان كنا في عالم الحس ابدانا ، فنحن في عالم العقل قلوبا والقلوب لا تزال تقطع بينها وبين الابدان العلائق ، وتحسم القاطع . حتى لا تبقي بينها وبين البدن علاقة ، ولا يزال الروح بكده (٢) يترقى من درجة الى درجة في المعاوف (٣) ويتطاع من برج الي برج حتى تنتهي الى حيث خرجت وترجع من حيث جاءت . وهذا الكلام كله بناء منهم لامر (٤) الباطن ، على عقائد اختيارية (٥) ركبوها بزعمهم على قواعد عقلية واسكتوا عنهم المعارضين وسكنوا قلوب الشادين بما رووه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا . وهذا الحديث ليس له اصل في الدين ولا يعد في منزلة من منازل السقيم فكيف الصحيح من المسلمين ، ولكنه جزء من خطبة عظم بها الخطب ، وصار بها الناس البا على الب ، وقد كنت فاوضته في امثالها واشرت بالمرة من الامساك عن الحديث الا ما صح على حد منزلتي منه ويقول لي .

(٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦٠) اقرب ما يصير تحت المحق

(٥) او اختبارية وهو اقرب

بضاعتي فى الحديث مزجاة ، ولقد اخذ مني في ذلك ابو بكر الفهرى عند انكفائي من العراق فاعليته بذلك من قوله فلم يعذره كما لم اعذره وليس يخفى على ذي لب يتوقف هاهنا قليلا بنفسه (١) ولا يعجل بالحو قلة فقد امتلات من هذا الكلام كل حو صلة . ولنتعرض للدليل ، وان كان ليس بموضع دليل ولكن هاهنا « نكتة بديعة » استفدتاها في « نزهة المناظر وتحفة الخواطر » وهى ان الحقائق تارة تنكشف بالدليل من الاشكال وتارة تنكشف

دلا لة الا لفاظ على المعانى

فان الشيء قد ٢ فليبادر بكشف غريبه واتخذ هذا

٢ اذا ناظرت وفي الاسترشاد اذا ارشدت وبعد هذه المقدمة نقول : ان غلاة الصوفية ودعاة الباطنيه يتشبهون بالمبتدعة في تعلقهم بمشتبهات الآيات والآثار على محكماتها فيخترعون احاديث او تخترع لهم على قالب اغراضهم ينسبونها الى النبي ويتعلقون بها علينا ، فمنها حديث الناس نيام وليس بخبر وانما هو مثل ضربه

---

(١) في الاصل بدون نقط وا ين فاعل يخفى ؟

(٢) بياضات بالاصل

الحكيم فضل الآخرة على الدنيا فاما اولا فانما على
ان ما في الآخرة ليس على حقائق ما فى الدنياوانما فى الدنيا من الآخرة
اسما لا معانى حتى نسبوا ذلك الى ابن عباس من الصدر الاول ليرتبوا
عليه ان امور الاخرة انما هى اسماء لا اشتراك بينها وبين
معانى الدنيا فى الوجود نسبتها لما فى الدنيا كنسبة البحر في المنام والاسد
والجزار و يختم — كتب الملك — الى الملك والشجاع وملك
الموت الفجر في رمضان فى الدنيا بل هذان اقرب من
ذينك ، ولهذه الامثال والاخبار معاني صائبة وفي منهج التحقيق سائرة
« صفة الجنة » وذلك ان البنية فى الدنيا مبتدأة بترتيب وتوليد وفى
الاخرة منشاة دفعة في كرة ، وهى في الدنيا تستحيل وفى الاخرة
تثبت وفى الدنيا تفنى وفى الاخرة تدوم وفى الدنيا منحصرة وفي
الاخرة لا تنحصر وفي الدنيا نافعة من وجه ضارة من آخر محمودة
من نوع مذمومة من غيره محبوبة في حال مكروهة اخرى. وهى
فى الاخرة متجددة كل صفة على ١) مقابلتها وهكذا حتى يكون
الكل كاملا صدر عن كامل لا نقص فيه الا عن كمال وجب للالاء

---

(١) في الاصل بلا نقط

الحق من الاولية والتقدس عن الحدث وجواز تطرق الآفات والنقص لا سيما وقد علم بالدليل كل عاقل ان الدنيا حقيقة على ما هى عليه والآخرة حقيقة على ما هى عليه وليس ما يستغرب بينهما من التباين وهما مخلوقتان باغرب من التفاوت الذى بين الخالق والمخلوق فى الذات والصفات ، ولكل واحد من هذين القسمين الاعلى الاشرف والاسفل الادنى حقائق (١) وما بينهما من التفاوت لم تبطل حقيقة الاكمل حقيقة الانقص بل وجبت لكل واحد صفاته . « تمثيل من دليل » قد ارسل الله الرسل الى الخلق على اختلاف اطوارهم فى ازمانهم فما قال احد منهم انا في غير حقيقة ، ولا كانوا ينفون الحقائق عن اقوال المرسل فى دعاوي التوسط . وهم متفقون على اقرار الحقائق فى نصابها . واتيانها من بابها ، وانما قابلوا ادلة الرسل بالشبهات ، وجروا فى ميدان النظر والدلالات . فعاند من عاند . وسدد من سدد . « توجيه » ويحتمل ان يكون ابو حامد قد بني هذا على مذهب الصوفية فى ان العلم من ثمرات العمل . وهو وان كان قاب القوس فليس فى اولى وتوة . وانما يكون ذلك

(١) لعل الاصل ومع ما بينهما

دعوى في النظريات او في الزيادة على مقتضى الادلة . وربما شبهوا في ذلك بقوله واتقوا الله ويعلمكم الله فافاد هذا الظاهر ان العلم ثمرة التقوى التي هي اصل الاعمال ومزجه (١) جميعها او كلها واثروا ذلك عن مالك رضي الله عنه اسكاتا لنا واعتضادا لامامته (٢) علينا من قوله : ليس العلم بكثرة الرواية . وانما هو نور يضعه الله في قلب من يشاء قال القاضي ابو بكر : وهذا مقطع شريف ليس من غرضهم في شيء وانما له حقيقة معلومة وهي ان العبد اذا واضب الطاعات ونبذ المعاصي لم يكن ذلك الا باستمرار عليه واستدامة نيته فان العمل بالقصد والقصد يرتبط بالعلم فانهما اخوان فاذا دام العمل الصالح دل على دوام العلم واذا عام ولم يعمل او شك ان يذهب العلم ويكون نقصان العمل علامة على نقصان العلم او ذهابه ، فان قيل كيف يذهب العلم بذهاب العمل والعلم اصل والعمل فرع عليه والفرع هو الذي يذهب بذهاب الاصل قلت عنه جوابان احدهما انا نمثل لكم ما يحققه فنقول انك ترى الغصن في الشجرة الناضرة ذابلا

---

(١) لعل الاصل ومرجعها

(٢) لعل الاصل بامامته

فتستدل به على نقصان مادة الاصل (١) «التي كانت عنده بالري»
ولولا نضوب المادة وهي الاصل من الاصل لما ذوى الغصن في
الشجرة الناضرة فكان ذهاب الفرع لذهاب الاصل وعلامة عليه.
الثاني وهو ـ التحقيق ـ ان التقوى والعلم جميعا من جملة الاعمال
وكلاهما من الاعمال القلبية وتنفرد التقوى بقسم منها وهو من عمل
الجوارح . وهي ماخوذة من الوقاية وهي الحجاب الموضوع دون
المكروه فاذا اتقيت الله بقلبك اولا كما يجب كان ذلك سلما منه
لك بوضع الحجب التي تقيك عذابه ، ووقاية العلم به للعذاب قبل
وقاية العمل له للعذاب فاذا نقص العمل كان لنقصان العلم ضرورة
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن
اخبر به انه لا يقدم على الزنا الا بعد فوات جزء من العلم . وقد بيناه
في قانون التاويل وشرح الصحيحين . وورد الحديث الصحيح : تعرض
الفتن على القلوب كالحصن عودا عودا فاى قلب اشربها نكتت فيه
نكتة سوداء فيصير اسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا
ينكر منكرا الا ماشرب من هواه . وهذا تنبيه بالغ ونص فيما

---

(١) هذا اقرب مايظهر من المحو

اردناه للخصم دافع . مزيد تحقيق ولا ينكر احد من الاسلاميين لا من الفقهاء ولا من المتكلمين ان صفاء القلب وطهارته مقصود شرعى انا المستنكر صفاء يوجب تجلي العلوم فيه بذاته اذ هو مقابل له فى اصل الخلقة ، وانما الحق ان القلب بمداومة الطاعات ، والفكرة في ملكوت الارض والسموات يكون ذلك من ادامة المعرفة عليا على النجاة و كون عمارة للبدن بالطاعات ، وقد قام الدليل العقلي على ان العلم هو من العمل قبل العمل وكذلك قام الدليل الشرعى وشهدت له التجربة على انه انما يخشى الله من عباده العلماء ، وكل من علم ان ملكوت الله في ارضه وسمائه الذى فيها بدنه (١) وحماته من مخلوقاته لم يصرفه الا في طاعته فان قصر فبفوات (٢) عمله بما قصر فيه وعما قصر عنه وعما قصر به وهذا كاف فيالغرض ، تكملة فنرجع الي المراجعة مع القول الاول للقوم الاولين فنقول لهم هذا التشكيك والخيلات الا تردونه الى الشهوات في الفرج والبطن والمعاش فى قوام الات الحياة فتدخلون

(١) كذا بالاصل وتامل ولعله منها

(٢) لعله علمه

فيها التشكيك وتردون اليها الخيال والاختبال ، ولا يكون عندكم
فيها فرق بين النظر والاهمال ، ولا بين الحلو والمر والمستقذر
والمستخبث ، فان لم ينقادوا اليه نبذناهم في يم الاعتراض ، ان لم
يكن بنا قدرة على القيام فيهم بالراجب والانتهاض . فان قيل قد
روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن شرح الصدر قال هو
نور يقذفه الله في القلوب قيل له وما علامته قال التجافي عن دار الغرور
والانابة الى دار الخلود . وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق
من ظلمة ثم رش عليهم من نوره فليركب عليهما . قلنا هذان
حديثان موضوعان لا اصل لهما . ياليتك لم تصل عليه ثم تنسب
الكذب (١) عليه ، وما انت في ذلك الا كمن يحلف بالله الذي لا
اله الا هو لقد كان كذا وهو كاذب ، فياليته لم يعظمه ولم يكذب
فيما يقرن بتعظيمه من حديث . اما ان الحديث الاول له معنى
صحيح في الدين ، فان هجر الدنيا يدل على خلو القلب من حبها .
واما الحديث الثاني ففاسد المعنى لا اثر له في الشريعة ولا مبني ، ونعوذ
بالله من الغرور والغرور انما خلق الانسان من طين ثم نفخ فيه من

(١) لعله اليه

روحه ، والذى يعقل هو الطين باقران الروح فان قيل فقدقال الله
سبحانه وغرتهم الحياة الدنيا . فان كان لها حقيقة فليس فيها غرور قلنا
فليس عندكم قول ولا رب ولا دليل ولا اعتراض فما لكم تدخلون
دارا لستم مقرين بانكم فيها ثم تطمعون ان تتصرفوا به افعها ، لاتمكنون
من ذلك اصرفوا صاغرين ؛ وانقلبوا خاسئين . فان قيل ايها المرشد ان
سأل المسترشد هذا احرجت من الدين يس فاذا الجواب عن هذا
لمن هو من اهلها . قلنا الدنيا حقيقة بذاتها غرارة لمن لها فانها موجودة
حقيقة فانية حقيقة متضمنة حقيقة فيها اذا نظرها الفاصر السؤال
المقلوب بالشهوات الشهمك في شهوات ركن اليها غرورا ، واذا نظرها العالم
علم انها واعظ وطريق للماوى تحذر امالك مسلكا . فنال من بغيته دركا ،
على مابيناه آنفا . فان قيل والشريعة مملوءة
منه قلنا نحن لم ننكر الا على تركيب الفاظ عربيه او شرعية على معان
سوفية ونسبتها الى النبي وهذا هو الكذب متعمدا ولا سيما اذا
افرغت على قالب تبنى عليه اغراض مقصودة في محل معروفة : فاما تنوير
القلوب فهذا امر شرعي . قد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

فى مظان الاجابة من آخر الليل وعند الخلوة على ما روى فى الصحيح انه صلى الله عليه وسلم كان يقول فى دعائه حينئذ : اللهم اجعل في قلبي نورا وفي نفس نـورا وفى لساني نورا وفى بصرى نورا وفي شعرى نورا وفى بشرى نورا وفى مخى نـورا وفي عظمى نـورا وفي لحمى نـورا وفى يمينى نـورا وفى يسارى نورا وفوقي نـورا وتحتي نورا واما منى نورا وخلفى نورا وفي قبرى نورا وسند لقائك نورا وعلى الصراط نورا واجعلني نورا واجعل لي نورا واعطنى نورا واعظم لي نورا ، فهذه ثلاثـة وعشرون ، منها فى صحيح مسلم سبع عشرة دعوة والباقى صحت من طرق والخير كله نور والشر كله ظلمة حقيقة لامجازا واخص ان العلم نـور والجهل ظلمة والسرور نور والغم ظلمة . والحديث الذى ذكرتموه رواه الترمذي عن عبد الله بـن عمرو ان الله خلق الخلق فى ظلمة فالـقى عليهم من نوره فمـن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل فلذلك اقول جف القلم على علم الله . وهـذا الحديث حسن الاسناد لم يبلغ درجة الصحة ولكن يشهد له ظاهر القرءان لقوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا فالمراد بالحديث انه خلقهم في ظلمة

لا من ظلمة ، المعنى خلقهم جهالا وضرب الجهل مثلا الظلمة ثم التي عليهم من نوره فاستنار به من هداه وهو عبارة عن العلم الذي يخلقه الله لمن يشاء والقبول الذى يهبه لمن يريد . — تخييل — قالوا ليس عندنا معنى يوثق به اذ الحسن خائن الا ترى انك لواخذت قبسا من نار ثم حركته بسرعة حركة مستقيمة على وضع الخط المستقيم لرايته خطا مستقيما ولو حركته دورية لصار كرة وقد تاتي بالحركة على صفة تكون قوسا من دائرة ، تختلف عليه المرائى وهو نقطة واحدة ولو كانت له حقيقة ثابتة لما اختلف باختلاف الطوارى على الذات من خارج — قلنا — هذا ايراد للحقائق بانها خيالات وبيانه ان القبس الذى ذكروه له حقيقة مشاهدة وله اذا سكن صورة واذا تحرك صورة فتختلف عليه الصور بالحركات والسكون وحقيقته واحدة وهذه حقيقة الحقيقة : الا ترى ان الانسان له حقيقة وتختلف عليه الصور فتارة يكون ناطقا وساكتا وقائما وقاعدا الى غير ذلك من حالاته وتصرفاته ولا تتغير له حقيقة باختلافها عليه بل له حقيقة دائمة ابدا لاتتغير ولهذه الصفات حقائق في ذواتها على تغييرها معلومة محققة وكل بذاته متحيز وفي سبيل العرفان سائر وكذلك الاجسام كلها والعالم باسره .

الموقف الثانى

ذهبت طائفة الى ان تحقيق العلوم في مواقعها
واعترفت بتعلقها بمعلوماتها ولكنها ذهبت الى ان الادلة وان كانت
تفيدها وتقتضيها ولكن رحمة الله ولطفه اذا فاض على العبد جاءه
به من العرفان مايستغرق مقتضى الادلة من البيان وهذا نحو مما تقدم
ولكن تعلقت به طائفه جليلة كالحارث ابن اسد المحاسبي اولا وابى
القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى ثانيا وبين الرجلين طوائف
لا يحصون كثرة من مشهور ومذكور وهذان العالمان سلكا طريقا
متوسطة بين الغلو والتقصير ونجمت فى آثارهما امم انتسبت الى
الصوفية وكان منها من غلا وطفف وكاد الشريعة وحرف وقالوا كما
تقدم لاينال العلم الا بطهارة النفس وتزكية القلب وقطع العلائق بينه
وبين البدن وحسم مواد اسباب الدنيا من الجاه والمال والخلطة بالجنس
والاقبال على الله بالكليه علما دائما وعملا مستمرا حتى تكشف له
الغيوب ويرى الملائكة ويسمع اقوالا ويطلع على ارواح الانبياء
ويسمع كلامهم ، وهذا ووراء هذا غلو ينتهى الى القول بمشاهدة الله ،
يدخلونه في باب الكرامات اذ كان من المجوزات . -- قاصمه — ولقد

فاوضت فيها ابا حامد الغزالي حين لقائى له بمدرسة السلام فى جمادى الآخرة سنة تسعين واربعمائة وقد كان راض نفسه بالطريقة الصوفية من سنة ست وثمانين الى ذالك الوقت نحوا من خمسة اعوام وتجرد لها واصطحب مع العزلة ونبذ كل فرقة فتفرغ لي بسبب بيناه في كتاب ترتيب الرحلة ، فقرات عليه جملة من كتبه وسمعت كتابه الذي سماه الاحياء لعلوم الدين فسالته سؤال المسترشد عن عقيدته المستكشف عن طريقته لاقف من سر تلك الرموز التي اوما اليها في كتبه على موقف تام المعرفه ، وطفق يجاوبني مجاوبة الناصح لطريق التسديد للمريد ، لعظيم مرتبته ، وسمو منزلته ، وما ثبت له في النفوس من تكرمته ، فقال لي من لفظه ، وكتبه لي بخطه : ان القلب اذا تطهر عن علاقة البدن المحسوس ، وتجرد للمعقول انكشفت له الحقائق ، وهذه امور لا تدرك الا بالتجربة لها عند اربابها ؛ بالكون معهم ؛ والصحبة لهم ، ويرشد اليه طريق من النظر وهو ان القلب جوهر صقيل مستعد لتجلي المعلومات فيه عند مقابلتها عريا عن الحجب كالمرءاة في تراءي المحسوسات عند زوال الحجب من صداء لائط ، او ستر من ثوب او حائط ؛ لكنه بتراكم الافات عليه يصدا حتى لا ينجلي

فيه شيء او ينجلي معلوم دون معلوم بحسب مواراة الحجاب له من ازورار اوكثافة او شفف فتتخيل فيها مخيلة غير متجلية كانه ينظر من وراء شف ، الاترى الى النائم اذا افلت قبله من يد الحواس وانفك من اسرها كيف تتجلى له الحقائق تارة بعينها واخرى بمثالها . قال لي وقد (١) تقوى النفس ويصفو القلب حتى تؤثر في العوالم ، فان للنفس قوة تاثير به موجودة ولكن كما قلنا ما يتوارد عليها من شعوب البدن وعلائق الشهوات يحزل بينها وبين تاثيرها حتى لايبقى لها تاثير الافي محلها وهو البدن خاصة كالرجل يمشي في الارض على عرض شبر ولو علا جدارا مرتفعا عرضه ذراع مااستطاع ان يبسط خطاه عليه ، يتوهم سقوطه عنه ، فاذا استشعرت ذلك النفس واستقرت عليه انفعل البدن لها وسقط مسرعا ، وقد تقوى على اكثر من ذلك فيكون تاثيرها في غير محلها من جنسها كما ينظر الراءي الى جسم حسن فيقع في قبله استحسانه فاذا نطق بذلك عليه تاثر بذلك الجسم فليط (١) بة او هلك في ذاته .

---

(١) خ تضوى

(١) تعلق به اذى

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم : ان العين لتدخل الرجل القبر ، والجمل القدر ، وقد تزيد قوتها (٢) بصفاتها واستعدادها فتعتقد انزال الغيث وانبات النبات ونحو ذلك من معجزات خارقات للعادات ؛ فاذا نطقت به كان على نحوه ، وهذه نفوس الانبياء ؛ وهى الايات التي تايدت بها احوالهم ، — عاصمة — قال القاضى ابو بكر فلما وعيت هذا سماعا وكتابة عنه وقراءة رجعت اليه متاملا بصادق البصيرة وعرضته على قواعد النظر في المعقول والمنقول ونظرت فى افراده ثم (٣) جمعه فرايت انه لايخفي على ناظر ان النفس موجودة والبدن موجود والروح والنفس والقلب والحياة الفاظ واردة فى الشرع منطلقة فى لسان العرب على معان قد عرفوها ، اذ لايصح ان يخاطبوا بما لم يفهموا ولا ان يعبروا بما لم يعلموا ، وهى بينة عند الطوائف كلها عاقلوها ومتشرعوها ، فاما البدن فمحسوس واما القلب فمشاهد فى بعض الاحوال ولكن عند التعطل عن عمله وعند الانفصال عن محله ، واما الروح فمعقولة ، واما النفس فاختلفوا فمنهم من جعلها

---

(٢) او بصفائها ؟

(٣) اوجمعته ؟

الدم فتكون جسما محسوسا ، ومنهم من جعلها معقولة (١) بمنزلة الروح وحين دارت هذه الالفاظ على السنة الانبياء والحكماء المتلقفين عنهم دارت على رسم التوارد ، فقد يعبر بالروح عن القلب والنفس وعن القلب بهما وعن النفس بالروح وعن الروح والحياة بهما ؛ وقد يتعدى بهذه الالفاظ الى غير العقلاء بل الى غير الاحياء فتجعل في كل شيء فيقال لكل شيء قلب ونفس وروح وحياة استعارة ، فمن لم يعقل وجه الاستعمال تاه في مجاهل لاعمارة بعدها ؛ ومن اراد ان (٢) يلتبس بها وجد مجالا مشكلا للتلبيس لكثرة الاستعمال ، والمعلوم في الجملة انه خلق اخر غير البدن ، كما قال تعالي ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين فبين ان الجسم خلق والذي فيه خلق اخر مجاور له مغاير ، وانت ترى في الجملة ان للبدن صفات هي القدرة والعلم والكلام والارادة والحياة والسمع والبصر . فهذه

---

(١) نخ بمعنى

(٢) لعله يلبس

الصفات السبع هى عماد التقدير والتفكير والايجاد والتصرف ، وليس يمكن ان يقال فى الحياة اكثر من انها صفة بها يستعد المحل لقبول الصفات الست وهى الروح وهى النفس . وارادت طائفة التشغيب ان تفرد الروح ببيان ؛ وتخصه بنوع من البرهان ؛ حتى انتهى بهم القول ان يقولوا : وما الانسان . لقد اخبرنى ابو سعيد الزنجانى بالمسجد الاقصى طهره الله عن الاستاذ ابي المظفر شاهفوران اعرابيا دخل البصرة فراى حلقه المتكلمين فقصد اليها يظن انها حلقة ذكر فوجدهم يتكلمون في حقيقة الانسان وقد كان عند نفسه معلوما فلما راى اهل تلك الحلقة قد ادخلوا فى (١) مبادالا من (٢) بديد ، واكثروا فيه من المراجعة والترديد ؛ قام وهو ينشد

ان كنت ادرى فعلى بدنه ✿ من كثرة التخليط في من انه

واحتاج شيخ انسنة (١) وصاحبه لسان الامة ، ومن دارت عليهم من طبقتهم الملة : من اعيان السنة الجلة ، ان يعقدوا فى ذلك ابوابا ،

---

(١) كذا بالاصل

(٢) او بريد ؟

(١) لعله صاحبه

ويجمعوه في ذلك كتابا ؛ فاحسنوا عن الحق (١) منابا . فان الملحدة ادخلت هذه الالفاظ في باب الاشكال تشغيبا وتلبيسا . والامر فيها بشهادة الله قريب جدا . — فان قيل — كيف تقرب البعيد الذى شهد الله ببعده . ولم يجعل لاحد فيه سبيلا من بعده . فقال ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا . — قلنا — قد تكلمنا على هذه الآية في انوار الفجر وشرح الصحيحين بما لبابه : ان احدا من المسلمين لم يسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح لعلمهم بها وذكرهم لها في كتابه الذى جاء به اليهم وما كان ليأتي بمجهول . ولو جاء به ماقبله الاعداء منه . وقد كانوا يترصدون وجها من الظن (٢) . فكيف اذا وجدوه يأتي بما لا يعلم . ويتكلم بما لا يفهم . وانما جاءت اليهود بعنادها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته عنها بظنة (٣) وعادة (٤) لم تزل تتظاهر بفسادها . مقصدها ان يقول لهم النبي صلى الله عليه وسلم هي كذا

---

(١) اي نيابة ويحتمل الرسم متانا اي متانة .

(٢) خ النقص

(٤٣) هذا اقرب مايفهم من الرسم بدون نقط

فيراجعونه فيه ويجادلونه عليها فامره الله ان يردعهم عنها صيانة له عن تشغيبهم بما لا يعلمونه ولا يفتقرون اليه ولا يحتاجونه «١» حتى قالت جماعة انه كان من وصفه في التوراة انه لا يجيب عن هذا السؤال وهذا وان لم يرد في الصحيح فليس يبعد لانه من صفاة العقلاء فكيف بالانبياء ان لا يتكلموا في فضول · ولا يخوضوا في غير تحصيل ، ولا يجوز هذا مع من يقصد التشغيب والتضليل . وانت تري ماانتهى الفضول بعلمائنا في تعرضهم لحد العلم ان بلغ القول فيه مع الخصوم الى عشرين عبارة ليس منها حرف يصح وانما هي خيالات والعلم لا يقتنص بشبكة الحد ، واذا لم يعلم العلم فماذا يطلب او الى اي شيء وراءه يتطلع ؛ وانما انشا هذا حثالة المعتزلة وكلهم حثالة لاضمارهم الالحاد قصد ايقاع التشكيك والالباس على الخلق في الحقائق ليتذرعوا بهذه الطريقة الى مقصدهم الفاسد وجعلوا يفيضون في الاعتقاد والعلم حتى انشوا كلاما يملا الفضاء حقه ان يقابل بالاعراض وقد اشرنا اليه في التمحيص وغيره . — قال القاضي — ابو بكر واذا انتهى النظر الى هذا المقام فنقول انك ايها المرء بعد لم تثبت لك معرفة النفس

---

(١) خ يحاجونه

والروح والقلب على ماتزعم ولا استقرت عندك حقيقة لذلك كله ، تريد ان تركب عليه انه يعلم المخلوقات ؛ ويوثر في الارضين والسموات ، لقد ابعدت مرماك ؛ حققه على ماتحب ، وبعد فركبه عليه ماتركب . — وما الاشارة — بتجرد النفس والقلب عن علائق المحسوسات ، لترتقي الى المعقولات ، فعسى ان يكون ذلك اذا مات ، فاما مع الحياة فيبعد ذلك ويستحيل عادة ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الصحيح انه ليغان على قلبي فاتوب مائة مرة فكيف يصح ان يدعى عاقل فكيف عالم قلبا لايدركه غين ؛ ولا تتطرق اليه غفلة حتى يترقى الى حالة الفناء حتى يفنى عن نفسه فلا يرى اهلا ولا حالا (١) وقد حف بالنبى الازواج وخالطهن بالوطيء وكيف يدعى احد قطع علائق ربطها الله قبل ان ياذن بحلها ، وكان النبي يشدها ويحث على النكاح وعلى انتقاء الابكار ؛ لاعلى انتفاء (٢) الانكار (٣) ؛ واي نفس تكون ذلك او اي قلب والنبى عليه السلام لم يرد الصحابه الى مازعموا من

(١) لعله مالا
(٣٢) كذا بالاصل

الطريقة ، وانما ردهم الي الفاظ القرءان وما كان معهم عليه حتى استاثر الله به . — واما قوله — ان ذالك ينال بالتجربة معهم والصحبة لهم فان التعرض للتجربة انما يكون فى الممكن فيحك مايمكن (١) فى مدق التجربة ؛ واما الذى لم يثبت بدليل ولا سبقت به عادة فكيف يتعرض له بتجربة والصحابة لم يسلكوا طريقه ولا نظروا تحقيقه ، والذى يدل على بعده الحديث الصحيح واللفظ لمسلم ان حنظلة الاسدى وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا فذكرنا بالنار قال فجئت الى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت امراة قال فخرجت فلقيني ابو بكر رضي الله عنه فقال كيف انت ياحنظلة قال قلت نافق حنظلة قال سبحان الله ماتقول قال نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنه كانا رأى عين فاذا خرجنا من عند رسول الله صلي الله عليه وسلم عافسنا الازواج والاولاد والضيعات ، فنسينا كثيرا قال ابو بكر والله انا لنلقى مثل هذا فانطلقت انا وابو بكر فدخلنا علي رسول الله صلي الله عليه وسلم قلت نافق حنظلة فقال رسول الله

(١) في الاصل مندق

صلى الله عليه وسلم وماذاك قلت يارسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كانا راى عين فاذا خرجنا من عندك عافسنا الازواج والاولاد والضيعات فنسينا كثيرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو تدومون على ماتكونون عندى فى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن ياحنظلة ساعة وساعة . فتفطن الصحابة لتغير القلب عنده مفارقة النبي صلى الله عليه وسلم عن الحالة التي يكون معه عليها ، وسألوا النبي عن ذلك فاخبرهم ان تلك الحالة لو دامت لصافحتهم الملائكة معاينة وذلك ممنوح من الله للخلق فما يقضى اليه ممنوع والا فلم لم يحضهم عليه . وهل كان فوق منزلة الخلفاء منزلة يرتقى اليها وما كانهم ذلك ولا صافحهم . — واما قوله — بمقدمة نوع من النظر وهو النظر فى حقيقة القلب فليس له حقيقة الا التى لليد وكلاهما وتمرة وهل هما الا جسم مركب من لحم اومن لحم وعظم وعصب . — فان — قال — اكشف لي عن حقيقة القلب — قيل — له واكشف عن حقيقه اليد وتماثلها الجارحة المشاهدة ؛ لقد قصر نظرك ان او قفته عليها ، هيهات بلك هي معنى وراء ذلك ، فانك تشاهدها مصرفة مقدرة موجدة

منزلة معينة (١) تارة (٢) وصاحبها قائم (٣) الفياه (٤) كالخرقة الماقاة فاو رمت انت وصاحب وصاحب الجيم في طبه وطابن (٥) فى سبيعتها والفاء (٦) في الاهيته ان يذكر في ذلك حرفا يفيد علما لم يستطيعوه؛ ولولا التطويل اسردت عليكم فى ذلك مناظرات من نزهة المناظر وتحفة الخواطر تعجبون منها فانظروها فيها . — واما قوله — ان القلب مستعد بذاته لتعلم المعلومات فهذا لايجوز فى صفة الاله فكيف ان يجعل ذلك للقلب ، لايصح ان يجعل شيء يعلم بذاته لامن قديم ولامن محدث وهذا شيء اصاوه ليركبوا عليه انكار الصفات انما اليد والقلب موجود ان خلقهما الله ويخلق فيهما على الترتيب والتدريج ما شاء ولكل واحد مجراه الذى جعل لـه ليس لواحد منهما صفة الا ان الله يخلق فيهما مايشاء اولا يخلق . == واما المرءاة == فلا يصح التمثيل بها في هذه القضية وانا اعلم قصدهم (٧) فيها واعتقادهم فى حقيقتها فانهم بنوها على ان الادراك فيها انما يكون بانعكاس الاشعة على

---

(١) محو بالاصل

٢، ٣، ٤، ٥، ٦ كلها كذا بالاصل

(٧) خ بسرهم

زوايا (١) في مزايا وذلك مذكور في كتب المناظرة وخاصة المنسوبة الى بني الهيثم ، وانا يذكرونها حبها للناس وتشكيكا لهم وسكونا الى ان علماءنا قد احتجوا بها وعولوا في روية البارى عليها وانه مرئي في غير جهه ونحن لان لانفتقر اليها فلا نسامها ولا نخوض معهم فيها وانا اعلمكم انهم اذا اجتمعوا مع اخوانهم المعتزلة فذكروا انا نحتج في مسالة رويه الباري في غير جهة بمسالة المرءاة ضحكوا منا وفكهو بنا وحكموا بالجهالة علينا . ولقد مشيت يوما بعسقلان الي محرس باب غزة وقد كان القاضي حامد المعتزلي الحنفي ورد علينا بها فاجتمع عليه الشيعة والقدرية واهل السنة على طريقتهم في قصد الواردين المتحلين بالعلم والمنتسبين اليه وكان بيني وبينه معرفة في المسجد الاقصى فقال له احد اصحابه هل تحكم بكفر الاشعرية في قولهم ان الباري يرى قال له القاضي حامد لانحكم بكفرهم لانهم يقولون انه يرى في غير جهة ويذكرون مالا يعقل ومن قال مالا يعقل لايكفر . وفي هذا الكلام نظر يأتي بيانه ان شاء الله تعالى وانما ذكرته لكم لتعلموا قدرنا عندهم . ولولا كم لم تتمرنوا بالهندسة

---

(١) او في مرايا

لاريتكم من خطائهم فى المرآة ما لا يخفى على من تعلق بشىء من الطريقة . ولقد قلت يوما لبعض حذاقهم وقد تفاوضنا فى المناظر بسبب القول فى روية الله عز وجل على اتصال الاشعة وانعكاسها بصقالة الاجسام فقلت له فهذا الماء الصقيل اذا نظرت اليه رايت نفسك معكوسا فيه وانت مستقيم دايه فاذا كان الادراك فى الصقيل لا يكون الا بانعكاس الشعاع فهذا ايضا انعكاس فى انعكاس فكيف التقيا فى خط واحد فى رؤية ؟ قد رمت ، زجرتنى عن الكلام هذا لا فائدة لكم فى ذلك لانه ليس من الـ (١) فنزلوا معهم الى القلب محل العلم . فمن اين تقولون انه ... وبذلته تجلت المارضات فيه لا تجدون شيئا يعول عليه ، الا الباري يخلق فى القلب ادراك العلوم ابتداء وترتيبه (٢) ويجرى التدبير فيها بالتدبير والتفكير على نظام فذلك النظام المستقيم الجارى على الدوام بالتنظيم سماه سبحانه شرحا تارة وتنويرا اخرى تعليما منه لخلقه (٣) حتى لم يتات منه لهم

---

(١) او البابه

(٢) خ يركبه

(٣) حين

نظام في الافعال المحسوسة الا بانوار الله ؛ (١) النور المحسوس والنور المعقول ، فاعرفه واعترف به ، واقدره قدره ، وانسبه الى نسبته ، وانزله في منزلته ؛ لاتعديه عن محله :ـ واما دعواهم ـ روية الملائكة والانبياء وسماع كلامهم فذلك ممكن للكافر والمؤمن اما روية الكافر فعقوبة : وحجبه «٢» ويلاوفتنة ، وما روية المؤمن له (٣) فكرامة ؛ ولو كان رؤيتهم للملائكة كما يقولون لصفاء القلب الصقيل «٤» فيتجلون فيها لاقتصر رؤيتهم على القلب الصقيل ولم يرهم قلب لصداء قد تراكم بالرين ، وهذا مما يمنعونه سرا . ولا يقدرون (٥) عليه جهرا ، لانهم يتظاهرون بالاسلام . ـ فاما الفلاسفة ـ فمنعوه وسياتي الكلام معهم في طريقتهم في الادلة ، وعقيدتهم في الملة ، ان شاء الله ، وقد سمعت الصحابة كلام الملائكة وسمعها من لم يؤمن ورءآها في صورة الادمي ؛ ورءاها في صورة

(١) خ بزيادة : فلله
(٢) لعل الصواب ويل
(٣) اي لما ذكر
(٤) عليه شبه تشطيب في الاصل
(٥) هذا اقرب مايظهر

النمل ، ولم يكونوا من صفاء القلب وقطع العلائق بحيث يشترطون في رؤيتهم ، وان كانوا من تقوى الاله وفضل المعرفة باوفى مرتبة . فهذه دعاوى باطله لا اصل لها فى منقول ولا معقول ، ـ واما قولهم ـ ان النفس توثر في ذاتها حتى تترقى الى العوالم فيبعد ان يتخيل هذا عاقل فكيف عالم . انه ليس لشئ تاثير ولا منع ولا توليد لما ثبت من الادلة فى موضعه بانه لاخالق الا الله ولا يخرج من العدم الى الوجود شيء الا بقدرته وقد دللنا على ذلك في موضعه . ـ واعطف ـ على شيخنا بالكلام ، دون غيره من الانام . لما بيني وبينه من مجلس ومقام ، فاقول سبحان الله هل اخذنا عنك فى كتاب ، وقيدنا على كل باب ، الا ان الله منفرد بالايجاد ؛ متوحد بالاستبداد ، وان ماسواه لاينسب اليه فعل ، ولا يناط به حادث ، واين ماسردت في مناجاة النملة والقلم ، حتى انتهيت الى المنهج الامم ، واين التبري من الوقوف على تلك المنازل فى النوازل ، والترقى على تلك الدرجات في المدارج . حتى انتهيت الى بحبوحة القدس . والان ترد التاثير الى النفس . هيهات ان مايخلقه الله فى بدن العائن هو كما يخلقه الله فى بدن المسحور كما يخلقه في بدن

المضروب والمقتول كما يخلق حركة الخاتم بحركة اليد . اين ماقيدت بعد ان انفردت فى الاقتصاد والمستصفي وما رويت عن امام الحرمين في مدارك العقول مما قيدناه فى انفراد الباري بالايجاد وحده : وكل مخلوق محل لمجاري مقادير الله ، — فان قلت — ان النفس توثر ذلك عند تعلق القصد منها اليه — قلنا — هذا لايصح من اوجه — الاول — ان هذا مما يجب ان يثبت اولا مشاهدة او لخبر صدق يوجب العلم وحينئذ ينسب الى الله ايجادا بالقدرة الاولية فى الاصل وتجعل النفس وما تعلقت به محلا لمجارى مخلوقات الله . — الثاني — انه وان كان انكشفت له المعلومات • واتضحت له المعقولات واستبصر بالحقائق والكائنات • فليس فى قوة القلب تاثير فى الايجاد وانما غايته الادراك والكشف فاما تعديه الي الايجاد فلا يصح بحال . ـ الثالث ـ انك قد قلت وجدنا بالتجربة فهذا عمر قد قال ياسارية للجبل وهذا الاوزاعى قال لرجل يعظه لواطعت الله وقلت لهذا الجبل ادن لجاءك فتدكدك الجبل وسعى حتى دنا من الاوزاعى فقال له اثبك عني انما هو مثل ضربته لصاحبى هذا • ـ قلنا ـ هذا الان قول فى كرامات الاولياء وهى اصل الدين • وعمدة من عمد المسلمين •

لاينكرها الاجاهل • اتفق عليها العلماء واختلفوا هل هى خرق
عادة او اجابة دعوة • ونحن الان لانخوض فى النظر فيها فانها تجوز
بخرق العادة على شروطها التي بيناها فى امالينا • ولكنها اذا جرت
لاتجرى بتاثر نفس ؛ وانما يسئل العبد الصالح ربه فيجيب دعاءه فى
مطلبه • ويكشف له بالمعرفة عن خفايا جهله. وهذا من الجائز القليل
الوقوع • لكن الناس قد اكثروا فيه الرواية • ودعت طوائف
كثيرة لهذه المنزلة • فاحدث الاكثار من ذلك انكارا واستبعادا فى
اكثر نفوس الخلق — واما اضطراب الجبل— فلا يلتفت الى روايته
وانما اضطرب الجبل بمكه والمدنية لمحمدصلى الله عليه وسلم واصحابه
وهذا باب اخر لاينتفع به قائله مما نحن بسبيله • وقد بيناه في
موضعه بدليله ـ قال القاضي ابوبكر رحمه الله ـ والذي قيدت عنه
(١) وعن غيره قبله سماعا ورواية ان النبوة ليست بصفة ذاتيه للنبي
وانما هى عبارة عن قول الله تعالى بلغ الي خلقي كلامى وهذا مما لا يصل
اليه احد بعمل ولو كان اوفر من عمل الملائكة والادميين وانما
ياتى موهبة من الله وهذه الموهبة التي ليس لاحد فيها حيلة .

---

(١) اي الغزالي

عليه (١) دليل من الله وهى خرق العوائد وتاثيرات في العالم من فعل الله تشهد بصدق الرسول فلا يصح ان تكون شهادة فنوردها في غير محلها ولا تكون من فعل احد غير الفاعل المطلق بالحقيقة وقد قيدنا عنه ان ذلك من قوى النفس بالتاثر فى الاجسام العاوية وانما ذلك مما لا ينكر ان يكون للانبياء قال وانما ينكر اقتصارهم عايه ، ومنع قلب العصى ثعبانا . قال القاضي ابوبكر وانا اقول انى لا انكره ولكن اقول هذا التاثير للنفوس وانما هو مما يخلقه الله بقدرته وارادته للنبي مع التحدي ليكون معجزة اومع عدم التحدى فيكون اية وكرامة فاما ان يجرى على حكم النفوس مجرى الاشياء المعتادة والتاثرات المتعارفة فلا . وسترى ذلك في الاملاء على التهافت ان شاء الله تعالى. وبعد النظر الطويل الذى هذه اشارته خرجت عن هذه الغمرة التى اوجبها استرسال مثله فى هـذه الالفاظ القلقة التي لا تصح ان تكون فيها اذن لاحد ايذكرها فضلا عن ان يحققها ويسطرها وهى اخلاط غائبة على الفوائد : ومعانى حائدة عن سنن السداد

---

(١) لعله عليها اي الموهبة

الموقف الثالث

قالت طائفة لامعلوم الا المحسوس المدرك من الحواس او ما يظهر في النفس ابتداء مما لاريبة فيه كجواز الجائزات واستحالة المستحيلات ؛ فاما هذه المعارف التي تدعى ويتعرض لها بالاكتساب والفكر في تفاصيل طرقها حتى تحصل فليس وراءها طائل لاختلاطها وتشابهها وعدم الوصول اليها ومتى رايت نظارين (١) اتفقا اود ليلان وقف بك على منتهى . بل ترجع تارة وتشك اخرى ، وهذا مما لايوثق به ولا سيما اذا تعارضت الطرق او حمل معنى على معنى؛ الا ترى ان الحذاء لو حذا نعلا على مثال ثم حذا على ذلك الثاني ثالثا وتمادي كذلك الي سبعة امثلة فانك اذا ركبت السابع على الاول لم تجده على مثاله ؛ وهذا نظر في المحسوسات ولكنه لما بعد اضطرب فكيف فيما يخرج عن (٢) الحس — عاصمة — قال القاضي ابوبكر قال لي ابو علي الحضرمي بالثغر ليس هذا مذهبا لاحد وانما اوردته

---

(١) لعل صواب العبارة كذا : نظرين اتفقا او دليلا

(٢) غ من سبيل

الملحدة من (١) الحرمية والباطنية تشكيكا وتشغيبا والا فهم مقطوعون في اول كرة بالطريقة التى افتتح بها العلماء تصانيفهم ونقول لهم بعد ذلك هذا الكلام تطردونه في الاعمال والعقائد او تقصرونه فان طردوه في الاعمال والتصرفات وطلب المعاش فكلها نظرى لاضرورة فيه قطعا . اوقصروه على الاعتقادات الباطنه قيل لهم الاعمال التي سلمتم جريان النظر فيها انما ترتبط بالعقائد لانها تنعقد اولا ثم ترتب بالنظر ، ثم يبرز العمل ماانعقد من ذلك واستقر ، فدل ذلك على صحه النظر ، فاذا صح النظر فيها لافادته دل على صحة النظر في الاعتقاد وحده — فان قيل — علمنا صحة النظر في الاعمال بالعثور على المقصود قطعا او بالخطا فيه قطعا . — قلنا — عنه جوابان — احدهما — ان الذي قدم النظر في الاعتقاد اولا هو رجاء الحصول كذلك في مسئلتنا ثم يكون بعد ذلك العثور على شيء او عدمه (٢) نظر اخر (٣) الثانى انا كذلك نعلم العثور على المطلوب بالنظر في باب الاعتقاد او السقوط عنه وليس يلزم ان

---

(١) او الخزمية او الحزمية

(٢) (٣) بياض بالاصل

يستوي النظر (١) في الاعمال فان منها مايبدو قريبا ومنها مايبعد ومنها مايقع العثور فيه على المطلوب ومنها مايخطئ ويعلم انه من تقصيره ومنها مايشكل عليه فيتوقف ولا يعترض ذلك على اصل النظر في الاعمال بالابطال . ـ وقد يقال ـ انتم انما مقصدكم (٢) النظر حتى لا يكون ابتلاء ولا وضيفة ولا يقبل مـن نبي قول لانـكم لم تقدروا على تحقيق ذلك فنبذتموه . فانت كما قلت لمن حظر (٣) اذا نظرت في الكيمياء عمرك وقد سمعت بعدها او فقدها فلم يقطعك ذلك عنها وكذلك انت الذي خرجت تطلب الكنوز في القبور وفي المواضع التي ترجوها فيها اولا تـرجوها . ويأتيك المنجم فيقول لـك ربعت هذه البقعة فاقتضت الطوالع ان فيها مالا فغدوت تفني قلبك وبدنك فيها ومالك . باي محسوس ادركت ذلك ، هل فعلته الا بنظر اصله طمع . فكيف من ينتظر اوليائك ومن اولك او اخرك ومن صورك وقدرك . وهذا الغرض لاتحقره فانا قد رددنا به عن الباطل مـن

---

(١) هنا مش الاصل هكذا : (والعقائد كما لم يلزم ان يستوي النظر في الاعمال) ولعل الصواب في العقائد

(٢) لعل الاصل طرح النظر .

(٣) هكذا بالاصل وتامل .

اعتقده • وافهموا انكم اذا اردتم ان توقنوا مشككا وتدلوا حائرا
لم يكن فيه شيء انجع من اخذه من بابه ، وهذه سيرة الله في ادلته مع
اوليائه لاعدائه ، وسنة انبيائه في ابنائه : ـ واما ـ مسلة الحذاء فقد
وقع الخطا فيها بتقصير الحذاء في ضبط المثال اولا ، فلوارتبط لتحصيلة
ولم يعجل في تنصيله لكان السابع كالاول وقد جربناه فوجدناه ،
ولكنه اذا حذا قصر فلا يظهر التقصير في الاول لخفائه ولا الثاني
حتى اذا ائتلف الخطا على المخطي فيه جاء محسوسا : كالجوهر فانه اذا
ائتلف صار محسوسا ولو فككت الجسم لانتهى الى حد يفوت
الالات حتى ينتهي الى حد يفوت الحس وهو معقول حتى ينتهي
الى حد تقف التجربة عنده عقلا بالدليل حسب ماببناه في كتب
الاصول . ـ قال القاضي ـ وقد راى هؤلاء المحرومون ان النظر في
علم الكم متفاوت في الجلا والخفا حتى لقد بينت لبعضهم في طريق
الجدال تارة والارشاد اخرى اذا قال الرجل اثنين في اثنين كم يكون
مجموعها فيقال اربعة فيعيد السؤال عليه في الاربعة فيقول له ستة عشر
ثم يعيد حتي ينتهي الى اعداد مركبة يفتقر فيها الى اعمال الفكر
وربما لم يصب فيها الا بعد لاي . وكذلك لو قال اربعة ونصف

ونصف وثمن ، ثم يقول لـه اربعة ونصف ونصف وثمن وربع ثلاثة اجزاء من ثمانية وتسعين راى نفسه فى اشكال طـويل ولكنه يبرز الوجه فيه التفكير ، واذا دخل فى استخراج المعلـوم من المجهول افتقر الى نظر (١) ويتركه حتي اذا احتاج الى قسمة حقل اودار على فرائض مختلفة لجا الى سواه واستغاث بغيره وبذل له مالـه ونزل الى الدنية من الجهل والاستجداء الى من هو دونه فان كان ذلك محتاجا ظهر عليه بما له واشترى منه عمله وان كان غنيا ترفع عنه حتي يخضع له . — فان قال — هذا وان كان كـذلك فانه يفضى الى يقين — قلنا له — كـذلك النظر فى العقائد الدينية يفضى الي يقين ـ فان قال ـ فلما اختلف الخلق فيه ـ قلنا ـ ليس خلاف مـن خالف فى الحق مبطلا له ،انما علينا ان نعرض عليه الفصول في الوصول حتى يقف على فائدة الدليل ، ونحن نقرب لكـم ـ فنقول ـ ان معظم اختلاف النظار بالحقيقة في العقائد ليس لاختلافهم في القواعد ؛ وانما ذلك لعسر الطريق وكثرة العوائق وكلال الخاطـر وضعف المنة وقلة الرغبة واحتقار الفائدة ، واحدى هـذه تبطل الارض . وان الله

---

(١) خ طويل فيضجره ذلك

شاء ببالغ حكمته ونافذ قدرته ان يجعل الخلق فريقين كما بينا ويقسمهم الي الهدى والضلال وقسم عليه فيهم الي الجلي الطريق والخفي الطريق ووضعه درجات ليظهر شرف عليه ولينزل كل احد منه في درجة حتي يتفاضل الخلق كما كتبه لهم واراده منهم والا فاي دليل لم يوصل الي مدلول ، قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . وبالنظر في التفصيل ، يبين التحصيل ؛ وهذا كله مجاهدة على الدين وحيل في هدم قواعد الشرائع من الاباحية والتعطيلية .

الموقف الرابع

قالت طائفة العلم صحيح ولا يخلق المرء به بل يستفيده بالتعلم والعلم لايحصل الا لمتعلم وهو طالب العلم ولا يصح ان يطلب الا من اهله وليس له اهل الا المعصوم الذي لايجوز عليه الخطا ولا يشك فيما يلقنه وهو الامام المعصوم وفى كل وقت يتناقلون العلم من معصوم الي معصوم ويتوارثونه من امام الي امام . ـ قال الامام ابوبكر ـ وهذه اول بدعة لقيت فى رحلتي فانى خرجت من بلادى على الفطرة فلم القى فى طريقي الامن كان على سنن الهدى يغبطنى تديني ويزيدني في يقينى حتى بلغت بلاد هذه الطائفة وزرت بها قبر عمرو ففجئتني من

اقوالهم ماقاله (١) عمار المذكور عمرو

اذا المرء لم يترك طعاما يحبه ❀ ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما

فلا بد ان يلقى له الدهر سبة ❀ اذا ذكرت امثالها تملا الفما

كلمات غرارة خاتمتها نبذ الشريعة والحقيقة والاسترسال على الاباحة . فلو فجيتنى بدعة مشتبهة كالقول بخلق القران ونفي الصفات والارجاء لم آمن باغواء الشيطان وانتدابه ، ان يولجني فى بابه؛ فلما رايت هذه الحماقات اقمت على حذر عاصمة وقلت الحمد لله الذى اعذر وانذر ؛ وثبت وبصر . وهذه ارض ينبغي ان يشد الي الاعتصام فيها الحزام ، ويفض عن غرر هذه العورات الختام ، وترددت فيها على اقوام لم يكن عندهم الا العقائد السليمة (٢) مع مقدمات من الادلة لتحصين العقائد عن سورة شبهة فلبثت فيهم ثمانية اشهر لم يبق باطل الاسمعته ، ولا كفر الا شوفهت به ووعيته ؛ تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ، ولم يدعوا للرحمن ولدا ، ولكنهم جاءوا باعظم من ذلك كفرا وعندا مع انهماك في

---

(١) فى نسخة زيادة فى قبل عمار وتامل التركيب

(٢) هذا اقرب مايظهر من الاصل ، وهى غير ماسمعه مما ذكره بعد

الكفر واستهتار ، وانحلال عن ربقة الديانة والمروءة والحشمة وخلع العذار ، فسبحان المهمل لهم من ملك جبار ؛ ثم خرجت عنهم الي الشام فوردت البيت المقدس طهره الله فالفيت فيه ثمانية وعشرين حلقة ومدرستان احداهما الشافعية بباب الاسباط والاخرى للحنفية بازاء قمامة تعرف بمدرسة ابي عقبة وكان فيه من رؤساء العلماء ورؤس المبتدعة على اختلاف طبقاتهم كثير ، ومن احبار اليهود والنصارى والسمرة (١) جمل لاتحصى فاوفيت على المقصد من طريقه ، ووعيت العلم بتحقيقه ونظرت الى كل طائفة بنا ظر (٢) رأسها وناظرتها بحضرة شيخنا ابي بكر الفهرى رحمه الله وغيره من مشيخة اهل السنة ثم نزلت الى الساحل لاغراض نصصتها في كتاب ترتيب الرحلة ، وكان الساحل المذكور مملوءا من هذه النحل الملحدية ؛ والمذاهب الباطنية والامامية فطوفت في مدن الساحل لاجل تلك الاغراض الدينية نحوا من خمسة اشهر ونزلت عكا منها . وكان راس الامامية بها حينئذ ابو الفتح العكى وبها من اهل السنة شيخ يقال

(١) او السحرة ؟

(٢) هذا معدوم في الاصل ونبه على وجوده في نسخة بالها مش

لـه الفقيه الديبقي فاجتمعت بابي الفتح فى مجلسه وانا ابن العشرين فلما رآنى صغير السن كثير العلم غزير القول مصيب القصد منطقا (١) منذ لقا متدربا ولع بي. وفيهم لعمر الله وان كانوا على مذهب باطل انطباع وانصاف، واقرار للرجل بفضله اذا ظهر واعتراف، فكان لا يفارقني؛ ويسارعني فى السؤال والجدال ولا يفاترني، فتكلمت على ابطال مذهب الامامية والقول بالتعليم من الامام المعصوم بما يطول ذكره في هذا العصر. — ومن جملة كلامنا فيها — انهم يقولون ان لله فيعباده اسرارا وله فيهم احكام والعقل لا يستقل بدركها ولا يقوى على نيل الحقيقة من دين ارتباك الشبه فلا يعرف ذلك الا من قبل امام معصوم. وهذا مما ينبغي ان يعلموا انه راجع الى القول بالحلول وانما عرجوا عنه ليبعدوا منه وهم عليه محلقون واليه راجعون، — قلت لهم — بعد ان فهمت امرهم وتحققت مقصدهم ووعيت عن بعضهم انه يورده بعبارة اخرى فيقول ان الله امر بالحق وعلى الصدق علي يد مبلغ معصوم وهو النبي والا يكن الامر على هذا فقد زلقنا عن درج الحق الي الباطل وعن منزلة اليقين الى الشك وعن حال

(١) لعله منطيقا.

الثقة الى الارتياب -- فقلت — امات الامام المبلغ عن الله لاول ما امره بالتبليغ ام هو مخلد فقال لي مات ، وليس هذا بمذهبه ، ولكنه يسير معي به ؛ وانما حقيقة مذهبه ان الله سبحانه يحل في كل معصوم فيبلغ عنه فالمبلغ هو الله لكن بواسطه حلوله في آدمي ؛ فقلت هل خلفه احد قال خلفه وصيه علي ، قلت له فهل قضى بالحق و نفذه ام لا قال لم يتمكن لغلبة المعاند . قلت فهل انفذه حين قدر ، قال منعته التقية ولم تفارقه من يوم العهد الى يوم الموت الا انها كانت تقوى تارة وتضعف اخرى فلما ولى بقيت من التقية بقية فلم يمكن الا لمداراة للاصحاب ، لئلا ينفتح عليه من الاختلال ابـواب . — قلت لـه — وهذه المداراة هي حق ام لا قال باطل اباحته الضرورة — قلت — فاين العصمة ، قال انما تعين العصمة مع القدرة ـ قلت ـ فمن بعده الى الان وجدوا القدرة ام لا ، قـال لا . ـ قلت ـ فالـدين مهمل والحق مجهول مخمل . قال سيظهر ـ قلت ـ بمن ، قال بالامام المنتظر ـ قلت ـ لعله الدجال ؛ قال (١) فما بقي احد الا ضحك وقطعنا الكلام على غرض مني لاني خفت ان الجمه فينتقم مني في بلاده ـ قلت ـ ومن العجب

---

(١) اي ابن العربي

مافي هذا الكلام ان الامام اذا او عز الى من لاقدرة له فقد ضيع فلا عصمة له ، واعجب منه ان الباري على مذهبه اذا علم انه لاعلم الا بالعلم وارسله عاجزا مضعوفا لا يمكنه ان يقول ماعلم فكانه ماعلمه وما بعثه وهذا عجز منه وجور لاسيما على مذهبهم فراوا من الكلام مالم يمكنهم ان يقوموا معه بقائمة . وخرج البحث وشاع به الحديث فاراد رءيس الباطنية المشهور (١) بالاسما علية ان يجتمع معى فجاءني ابو الفتح الى مجلس الفقيه الذيبقى وقال لي ان رءيس الاسما علية رغبه في الكلام معك فقلت انا مشغول فقال هاهنا موضع قريب قد جاء اليه وهو محرس الطبرانيين مسجد فى قصر على البحر شامخ البنا مشيد البنا ، وتحامل على فقمت مابين حشمة وحسبة . وللمحرس المذكور رائعة فقطعتها ودخلنا قصر المحرس وصعدنا اليه فوجدتهم قد اجتمعوا فى زاوية المحوس الشرقية فرايت النكر في وجوههم فسلمت ثم قصدت جهة المحراب فركعت عنده ركعتين لاعمل لي فيه (٢) الا تدبير القول معهم والخلاص منهم فاممري (٣) الذي قضى

---

(١) الصواب المشهورة

(٢) لعله فيها

(٣) الصواب فلعمر

علي بالاقبال الى ان احدثكم ان كنت رجوت الخروج من ذلك المجلس ابدا . ولقد كنت انظر الي البحر يضرب في حجارة سود محددة تحت طاقات المحرس فاقول هذا قبري الذي يقذفونني فيه . وانشد في سري
الا هل الى الدنيا معاد وهل لنا ❀ سوى البحر قبرا وسوى الموت اكفان
وهي كانت الشدة الرابعة من شدائد عمري التي انقذني الله منها . فلما سلمت استقبلتهم وسالتهم عن احوالهم عادة ؛ وقد اجتمعت الى نفسي وقلت اهون ميتة واشرفها في اكرم موطن اناضل فيه عن الدين واكون قيم المسلمين . فقال لي ابو الفتح واشار الى فتى حسن الوجه هذا سيد الطائفة ومقدمها فدعوت له وسكت فبدأني وبدرني وقال قد بلغتني مجالسك ، وانتهى الى كلامك ، وانت تقول قال الله وفعل الله ؛ فاي شيء هو الله الذي تدعو اليه ، وتكثر من ذكره ، اخبرني وبين لي واخرج عن هذه المخرقة التي جازت لك على هذه الطائفة الضعيفة ، وقد احقد نفسا ، واحتدم جلدا ، وامتلا حنقا وغيظا ، وجثا على ركبته ، كما علمت بقوله (١) ولم اشك انه لايتم الكلام الا وقد اختطفني اصحابه قبل الجواب ، وعمدت بتوفيق الله

---

(١) خ عاث بقولته

الي كنانتي واستخرجت منها سهما صائبا كان من عددى فضربت به حبة قلبه فسقط لليدين وللفم ؛ ولم يبق له كلمة تجرى على القلم ، — وشرح ذلك — ان الامام ابا بكر احمد بن ابراهيم الاسماعيلي الحافظ الجرجاني قال كنت ابغض الناس فيمن يقرا علم الكلام . وذلك لانه كان معرقا (١) في علم الحديث (٢) عرفا فيه . قال فدخلت يوما الرى فصمدت الي جامعها فدخلته واستقبلت سارية اركع عندها واذا فيما يجاورني رجلان وهما يتذاكران علم الكلام فتطيرت بهما وقلت اول مادخلت هذه البلد سمعت فيها ماكرهه وجعلت اخفف الصلاة حتى ابعد منهما فعلق بي من قولهما ان هؤلاء الباطنية اسخف خلق الله عقولا ، وينبغي للنحرير ان لايتكلف لهم دليلا ، ولكن يطالبهم بلم ؟ فلا قبل لهم بها ولا معدل معهم عنها وسلمت مسرعا وشاء الله بعد ذلك ان يكون رجل من الاسماعلية ولفهم القرامطة يلقون الامر الي معرفيهم (٣) فكشف القناع فى الالحاد وجعل يكاتب

---

(١) اومغرقا
(٢) كذا بالاصل ولعله علما
(٣) كذا بالاصل

وشمكير الامير يدعوه الي الالحاد ويقول لـه انى لااقبل دين محمد الا بالمعجزة فان اظهرتموها رجعنا اليكم وانجرت الحال الي ان اختاروا رجلا منهم جلدا له دهاء ومنة فورد على وشمكير رسولا فقال له انك امير ومن شان الامراء والملوك ان تتخصص عن العوام ولا تقلد فى عقيدتها وانما حقهم ان يفحصوا عن البراهين فقال له وشمكير اختروا (١) رجلا من اهل مملكتي ولا انتدب للمناظرة بنفسي فيناظرة بين يدى فقال له الملحد اخترت ابا بكر الاسماعيلي املاه بانه ليس من اهل علم التوحيد وانما كان اماما في الحديث ولكن كان وشمكير يعتقد فيه انه اعلم اهل الارض بانواع العلوم فقال له وشمكير تيك (٢) مرد اى رجل جيد فارسل الملك الى ابي بكر الاسماعيلي بجرجان ليرحل اليه الى غزنة حتى يناظر الاسماعيلي لما كان يسمع من ذكره وامامته فى الحديث والملك بعاميته يعتقد انه قائم على كل علم وانه ليس فوقه احد ولا وراءه مطلب فلم يبق احد من العلماء لايئس من الدين وقال سيبهت الاسماعيلي الكافر مذهبا ؛ الاسماعيلي الحافظ نسبا ،

---

(١) الصواب اختارا واختاروا

(٢) كلمة فارسية

ولم يمكنهم ان يقولوا للملك لاعلم عنده لئلا يتهمهم بالحسد فلجؤوا الى الله ان ينصر دينه وعولوا عليه . -- قال الاسماعيلي — فلما جاءني البريد واخذت في المسير وتدانت الدار قلت انا لله وكيف اناظر فيما لا ادري واتكلم بما لا اعلم هل اتبرا الى الملك اولا وارشده الي من يحسن الجدل ويعلم حجج الله في خلقه على صحة دينه وندمت على ماسلف من عمري ولم انظر في شيء من علم الكلام ثم اذكرني الله ماكنت سمعته من كلام الرجلين بجامع الري فقويت نفسي وعولت على ان اجعل ذلك عمدتي وبلغت البلد وتلقاني الملك واستراح ثم جمع الخلق وحضر الاسماعيلي المذهب مع الاسماعيلي النسب وقال الملك للاسماعيلي الباطني اذكر قولك يسمعه الامام فلما اخذ في ذكره واستوفاه قال له الاسماعيلي الحافظ لم . فلما سمعها الملحد قال هذا امام قد عرف مقالتي فبهت فقال لـه الملك « اذ انا شمنسد ورخين » (١) ورجع الي اصحابه وهو يشير الى الاسماعيلي وهو يقول « اجو مردد انشمند » (٢) وروى انه قال « باكشخان خوستى كه » (٣) فرد مناظره وطرده . — قال الاسماعيلي — وخرجت من ذلك اليوم

---

(١) و (٢) و (٣) كلمات فارسية

وامرت بقراءة علم الكلام ، وتحققت انه عمدة من عمد الاسلام .
— قال القاضي ابوبكر — وحين انتهى بي الامر الى المقام المتقدم
قلت ان كان في الاجل شيء فهذا شبيه بيوم الاسماعيلي فرددت وجهي
الي ابى الفتح الامامي وقلت له لقد كنت فى لاشىء ولو خرجت
من عكا قبل ان اجتمع بهذا العالم مارحلت الي غربنا عن نادرة الايام
انظر الى حذقه بالكلام ومعرفته قال لي اى شىء هو الله ولا يسل
يتمثل هذه الامثله ولكن بقيت هاهنا نكتة لابد ان ناخذها اليوم عنه
وتكون ضيافتنا عنده . لم قلت اى شىء هو الله فاقتصرت من
حروف الاستفهام علي اى وتركت الهمزة وهل وكيف واين وكم وما
وهى ايضا من ثوانى حروف الاستفهام وعدلت عن الام من حروفه
فهذا سؤال ثان عن حكمة ثانية . ولاى معنيان فى الاستفهام فاى
المعيين قصدت بها ولم سالت بحرف يحتمل (١) ولم تسل بحرف مصرح
(٢) بمعنى واحد هل ذلك وقع منك بغير علم ولا تحصيل ولا قصد
لحكمه ام لحكمة فبينها لنا . فما هو الا ان افتتحت هذا الكلام
واسحنفرت (٣) فيه وهو يتغير حتى اصفر اخرا كما اسود اولا من

(١) او محتمل (٢) او يصرح (٣) او اسحنفرت

الحقد ومات قبل ان يموت ورجع احد اصحابه الذي كان عن يمينه الى آخر كان الى جنبه وقال لـه والله ماهذا الصبي الا بحر زاخر في العلم مارأينا مثله قط وهم ماراوا قط احـدا به رمق لان الدولة لهم . ولولا مخافتنا مـن رفعة الدولة ملك الشام فان والي عكا كان يحكمنا (١) لانا جلبنا اليه كتابه بان يبالغ فى برنا وينتهى الى الغاية فى محارمتنا (٢) ماخلصت منهم فى العادة ابدا وحين سمعت تلك الكـلمة من اعظامي طلبت ماامامي وقلت هذا مجلس عظيم وكلام طويل يبين (٣) انه يفتقر الى تفصيل ولكن نتواعد الى يوم اخر وقت وخرجت فقاموا كلهم معى وقالوا لي لابد ان تبقى قليلا فقلت لا واسرعت حافيا فلما جئت الـدرابزين لم انزل على الدرج ووثبت فـي وسط القصر وخرجت على الباب الى الزائقة اعدو حتي اشرفت على قارعة الطريق وبقيت هنالك مبشرا نفسي بالحياة حتى خرجوا بعدى واخـرجوا الى لالكتى (٤) فلبستها ومشيت معهم متضاحكا ووعدوني بمجلس فلم اف لهم الى ان خـرجت عنهم وخنت وفائي فى وفائي وفي ترتيب

---

(١) لعله يحترمنا (٢) لعله في مكارمتنا (٣) لعله نبين
(٤) شيء كالنعل

الرحلة بقية الحديث — قال القاضي ابو بكــر — وقد كان قال لي اصحابنا النصيرية (١) بالمسجد الاقصى ان شيخنا ابا الفتح نصر ابن ابراهيم المقدسي اجتمع برئيس من الشيعة فشكا اليه فساد الخلق وان هذا الامر لايصح الا بخروج الامام المنتظر فقال له نصر هل لخروجه ميقات معلوم ام لا، قال الشيعي نعم لخروجه ميقات ، قال له ابو الفتح نصر معلوم هو او مجهول قال الشيعي معلوم ؛ قال نصر ومتى يكون ، قال له الشيعي اذا فسد الخلق قال له ابو الفتح نصر فلم تحبسونه عن الخلق وقد فسد جميعهم الا انتم فلو فسدتم لخرج فاسرعوا به واطلقوه من سجنه او نحو هذا وعجلوا بالرجوع الى مذهبنا فبهت . واظن انه سمعها من شيخه ابي الفتح سليمان بن ايوب الرازي الامام الزاهد .—تكملة—وقولهم ان العقول نقصر فلا بد من معلم . صحيح . وقولهم ان المعلم يكون معصوما ، صحيح . ولكن هذا المعلم الاول الواسطة بين الله وبين الخلق ، ويجوز ان يكون واحدا ويجوز ان يكون الفا وقد بعث الله واحدا واثنين وثلاثا فاما من ياخذ عن هذه الوسائط فلا يلزم ان يكون معصوما ، فما دليلكم عليه ولا

---

(١) لعله النصرية نسبة الى الى ابي الفتح لانهم تلامذته

كلام لهم بعد هذا يحكى . -- قال القاضى ابو بكر — وجدت مجالس سوى هذا بيانها فى موضعها . منها انه لما شاع في البادة المذكورة ذكرى ، واستفاض امرى ، وتفاقم عليهم خطبي ، وكان بها امير من امراء الشيعه له باع في الجدال ، ويميل مع التشيع الى الاعتزال ، ودعا الي البدعة والضلال ؛ فلما سمع بذكرى ترصد الاجتماع بي فلم يبق الا يوم التبريز للخروج الي طبرية فنزل في رحلي علي في كبكبته فجزعنا لعمر الله حين حل بنا لان الامر لهم والدولة دولتهم والبلاد بلادهم ؛ فلما استوى به الدست فاتحناه بالقول وفي القوم بشهادة الله وان خالفونا فى العقيدة بسر في اللقاء وحلاوة في المنطق واحتمال كثير . فقال لي بلغنى انك جادلت اصحابنا هاهنا وسمعت بانفصالك فاردت لقاءك لاعلم ماعندك واطلع قدرك . فتراجعت الي نفسي ووطنتها على ماعسى ان يلقا (١) من المكروه فى ذات الله . وكان يكلمنى بكلام عذب والنكراء على وجناته باديه . فقلت له قد كان بعض مابلغ الامير وهو مشكور على اهتباله وبره . ومثله عرف لكل احد مبلغ قدره ، ولو ارسل الي مشيت اليه مبادرا متشرفا بلقائه

(١) الصواب تلقى او يلقاني

مستسعدا برؤيته فقال مادليلك على ان الله تعالى عالم بعلم فقوي قلبي وحضر لبي واستحقرت وقلت مثل الامير في منصبة وفهمه لايرضا بهذا فقال لي وما هو قلت حكمت علي باني اقول ان الله عالم بعلم ولم يسمع [١] ذلك مني ولا شهدت بذلك عندك علي (٢) ولو سمعتة فمن ادب الجدال السؤال اولا عن المذهب ثم بعد ذلك عن الدليل على صحته . فقال لي قد علمت بالسماع المتواتر انك اشعري . قلت هذان وهمان احدهما ان الخبر المتواتر لايوجب عندك شيئا وهو مذهب الامامية. الثاني انك اذا سمعت انى اشعرى كيف حكمت باني مقلد له في جميع قوله وهل انا الا ناظر من النظار ادين بالاختيار واتصرف فى الاصول بمقتضى الدليل ، فبان سمعت انى ناظرت فى مسائل على مذهب الاشعري حكمت فيما لم تسمع بما سمعت ، اي نوع هذا من النظر ، مثلك لايرضى به فى جلالة منصبه فصرف وجهه الي ابي الفتح شيخ الامامية بها وهو كان جليسي ومناظري ايام كوني بها فى كل وقت فساره فاخذت من تحريك شفتيه انه قال له هذا صبي

---

(١) او تسمع
(٢) اي بينة

لا يطاق فلما فهمتها استرسلت استرسالا، وافضت في الكلام ادلالا ؛ فقلت وكان من حق الامير ان يقبل على مسائله المختصة به ولا يسلني اولا عن مسلة ليست له وانما هى من مسائل المعتز له فاردت ان تجادلني بكلامهم وان تقاومني بحجاجهم وتركت مايختص بك دونهم كمسلة عصمة الامام وكونه المرجوع اليه والمحكوم في الدين بقوله فهلا بدات بها واظهرت علمك فيها وفخرت على قومك بالكلام عليها. (١) فلما رءى الشدة فى الحدة وقد تحلقت علينا الاجناد والعسكرية (٢) وستوفت القافلة وخاف الظهور عليه حل حبوة الجدال ولاطف في الكلام والاسترسال ، ودعا مقدم القافلة فقال لـه انظر من معك واقدر قدر صاحبك ولا تصل الي الا بكتابه شاكرا والا فلا ترجع الى البلد فشكرناه ودعونا له وقام فخسن (٣) ركابه ، وخاب ايابه ؛ وانصرف فى كبكبته ؛ وقد عصمنا الله مـن سطوته ، وخرجت عن عكا الى طبرية على حوران والبنينية (٤) وعدلت عـن بصرى الى

---

(١) هذا ماظهر من البياض
٢) لعل الاصل واستوقف
٣) و (٤) كذا بالاصل

دمشق لوجود بيناها فى كتاب ترتيب الرحلة . فمن هناك اشرق (١) الحق بنوره واتصل المسير الى دار السلام فالفيت بها من رؤساء العلم ورؤسه واشياخ الملة واحبارها مايملا الخافقين فقلت هــذه ضالتي التي كنت انشد وكان فيها قاضيان عظيمان دينا فى الظاهر ابو اليمن الحنفي وابو سعد الهروى فجالستهما وسمعت كلامهما واذا بهما على هذا المذهب واحدهما وان كان يلوح فابو سعد كان يصرح ولم يكن يظن عندى من مذهب القوم واغراضهم نلما . وفشا ذلك في خراسان من لدن موت ابن الفتح الملك العادل وقتل التاجيه لخواجا بزرك (٢) المقلب بنظام الملك وزيــر ابى الفتح (٣) تاج الملك وزير خاتون باطنيا وتحزبت الباطنية الى قلعة اصبهان وثارت فى الجبل حتى بلغت همدان يدعوا الى الجدال فارسل الملك الى الغزالي فصنف له كتابا سماه « حجة الحــق » في الرد على الباطنية بالعجمية وكلفه الخليفة ان يضع له في ذلك شيئا فــارسل اليه كتابا سماه « فضائح الباطنية

---

(١) خ عاينت .

(٢) هذا كلمات العجمية

(٣) بياض لعله وكان

وفضائل المستظهرية » في كشف اعوارهم وهتك استارهم وتبيين عوارهم ، برع فيه وان كان القاضي ابوبكر قد سبقه اليه ولكن اجاد هذا في الترتيب فنوظروا فى ذلك ونزلوا الاطائفة بددهم الجبل حتي استنزلوا بالحيل وتفرقوا فى البلاد ايادى سبا ووقعت الى العراق منهم طائفة فلقطوا بها لقط الطائر حب السمسم وعقد لهم مجالس وقرروا فيه فنهم من انكر ومنهم من اعترف واستمر ومنهم من تاب واستغفر فقال الشافعية تقبل توبتهم وقال الحنفية لاتقبل لهم توبة وجرى في ذلك كلام بين ابي بكر الشاشى الشافعي وبين الشريف ابي طالب الزينبي الحنفي ورحل المنشور بصورة المجلس الي الخليفة احمد المستظهر بالله رحمه الله فوقع يقتلون دون قبول توبتهم حسبما رواه امام دار الهجرة مالك فانهم اخبث الطوائف مقالة واسخفها حجة ودلالة اليس شاعرهم الذى يقول :

حل برقادة المسيح ❀ حل بها آدم ونوح

حل بها الله ذوى البرايا ❀ فكل خلق سواه ريح

وهو القائل مخبرا عن صاحب مظلته :

امديرها من حيث دار الظل ما ❀ زاحمت تحت ركابه جبريلا

وماذا يستبق من هؤلاء . فكانت اول مسالة حكم فيها بمذهب مالك بمدينة السلام بعد احوال واعوام وكانت بعدها اخرى تثبتها في موضعها . وهذا الذي احتج به الخليفة عليهم هو الذي اشرت به عنه من قولهم ان الله يحل في كل رسول وامام ويشافه الخلق وعيسى من محاله ومحمد وعلى عندهم وكل علوى مثلهم يحل الالاه فيهم الى سخافات وراءها تهتكات لاينبغي ذكرها ولولا ان الله سبحانه ذكر المقالة الفاسدة تحذيرا عنها واقامة للدليل عليها ماقلنا هذا ابدا ولا رضينا بذكره . وما ضل من اقتدى ولا قصر من ناضل عن دين الله بالهدى . ولقد اخبرنى من اثقه غير واحد أن قاضي همدان كان باطنيا وانه كان ان سمع عن سني قال لباطني ارفعه فى الدعوة فاذا رفعه اليه ودخل داره امر بقتله ورمي في مغواة فطلب ذلك الرجل (١) له خبر ابدا وفشت الغيلة فيهم حتى قام شيخنا ابو المظفر ابن رجا الهمدانى الشافعي خطيب اصفهان على المنبر وخطب مؤيد اللدين ومحرشا للموحدين ومستنجدا لهم على مايفعل باهل السنة من المومنين وقال فى خطبته مالكم لاتناصرون بل هم اليوم مستسلمون وسل سيفه على المنبر ونزل

(١) بياض بالاصل لعله فلا يوجد

فقتل الباطنية فما بقي منهم في ذلك اليوم باصفهان الامن خفي امره او اخفى نفسه وطهرها الله منهم الى انكفائي عن العراق — قال القاضي ابوبكر — وكان قد ظهرت لهم فى القراطيس الملقاة عندهم جملة ارتفع الى الخليفة بعضها من مقالاتهم قرطاس فيه ان الحق مطلوب كل عاقل وطريق تحصيله ابدا معلوم وهو انه رفيق الوحدة والباطل حيث الكثرة وهذا ينقلب عليهم فيقال لهم الحق حيث الكثرة والباطل حيث الوحدة ويد الله مع الجماعة والحق ماكثرت الشهود عليه وبعد ان تقلبه عليهم لايكون لهم كلام به احتفال اذ ما كان (١) اوله ليس له ثبات فاخره شر من اوله . — جواب آخر — يقال لهم بم عرفتم أن الحق في الوحدة ابقول الامام ام بالتجربة او بالنظر وليس لهم عن هـذا جواب به احتفال وكنا نورده الا اا كرهنا التطويل ورجونا (٢) عليكم به . — جواب آخر — هذا يبطل كل حقيقة فان قائلا لـو قال ان السموات سبع وقال آخر ان السموات واحدة لقلنا يلزمكم ان تقولوا ان السماء واحدة لان الحق فى الوحدة

---

(١) هذا اقرب ماظهر من البياض

(٢) كذا بالاصل

وكذلك لو قال قائل الامام واحد هـو الحق فمن قال انهم ائمة فهو باطل لان الحق في الوحدة وهـذه مسكتة لهم وقد جربناها — قرطاس — قالوا انما ينتقل الي البدل مع عدم الاصل كالتيمم والنظر بدل من الخبر فان كلام الله هو الاصل فهو خلق الانسان وعليه البيان والامام هو خليفته ومع وجود الخليفة الذي يبين بقوله لا ينتقل الى النظر — قال القاضي ابوبكر -- هذه كلمات خبيثة ملفقة من جزء عشر العشر فيه طيب لكنه قرن الى باطـل خبيث مبطل للكل . كلام الله هو الكل ولكن لا يبلغ الى كلام الله الا واسطته . وقد قال الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني ان العاقل لا يصح ان يدرك بذاته كل العلوم حتى يبعث الله من يرشده وهو (١) وقولهم ان خليفة الله هو الذى يبلغ عنه (٢) الخليفة هو النبي الذى سن ثم استاثر الله به ولا معصوم بعده لكن العلم فى ذاته معصوم فاذا اخذ عن المعصوم قطعا فحسن وان اخذ عن غير معصوم وعيته وسبرته بالقانون الذى بينه المعصوم وافرغته في قالب العلم المعصوم فهو ينبيك عن قرارة ومنته بذلك على

---

(١) بياض ولعله المعصوم
(٢) بياض قدر كلمة

غرارة فلا يصح لهم هذا الكلام بحال لاسيما وهم يقولون ان المعصوم غائب (١) قد بث الدعاة يقال لهم ومعلمنا محمد قـد بث الدعاة فان قيل نحن اذا اختلفنا فى شيء رددناه الى امامنا المعصوم الذى اكمل لنا التعليم وقال لنا عن مرسله العظيم اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكـم الاسلام دينا ويقال لهم ولعل معلمكم الغائب قد مات وليس لهم بعد هذا الا (٢) مايحكى . ــ قاصمة ــ وكان هذا الداء في الاسلام لوجهين احـدهما ان المجـوس هم الذين اقاموا بين اظهر الاسلام المسلمين [٣] بالجزية وعندهم هذا العقد الخبيث فهم بالمنافثة للمسلمين يبثونه فيهم فيشككـون (٤) بتشكيكهم ويريدون (٥) اليهم كما ان لمقام النصارى بين اظهرنا ترددت نحلتهم عندنا وعلمناها وكانوا مغمورين بالحق مقهورين الى ان انشا الله بني

---

(١) بياض لعله وهو
(٢) لعل الصواب حذف الا
(٣) لعل الاصل والمسلمين
(٤) لعله فيتشككـون
(٥) كذا بالاصل

برمك يحي بن خالد ومحمد بن خالد فملك الوالي امر الدين اباهما وجمل الخلافة يديهما فكان محمد بن خالد حاجبها ثم كان وزيرها وصاحب امرها كله يحي بن خالد ثم ابنه جعفر بن يحي وكانوا باطنية يعتقدون راي الفلاسفة فكادوا الدين واحيوا المجوسية واتخذوا البخور فى المساجد وانما كانت تطيب بالخلوق فزادوا التجمير ليعمروها بالنار منقولة حتى يجعلوها عند الانس بها ثابتة وتمكن العجم من افساد دولة العرب والملحدة من الملة والعبيد من الاحرار وقد كانوا يضمرون لنا حقدا ويمتطرون (١) افسادها وقتا فانتقوا كل ضيق العطن مخلوع الرسن واظهروا الاراء الفلسفية وجلبوا الناس الى انفسهم بعظيم العطاء وسعة الامصار والتمكن من الملك والادناء من مقار العز فنفقت بعد كسادها وعادت بعد نفادها ولحظوا الخلق بعين التنفير لياخذوا من يوافقهم على هذا النظير (٢) فاعتاموا منهم من لا يهدي ولا يهتدى . عن المرء لا تسل وسل عن قرينه . فكل قرين بالمقارن يقتدى . وعقدوا مجلسا للضلال باسم الهدى ونصبوا على الاسلام لذلك موعدا يحضر فيه من ينتحل علم الكلام من اصحابهم المتدينين

---

(١) لعله وينتظرون (٢) خ النكير

للطعن على الاسلام اولى عقائد فاسدة ونحل مضللة وكان من رؤس مجلسهم وممن اختاروا الموت على ضلالتهم اربعة عشر ثمانية من المعتزلة ابو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف وابراهيم بن سيار النظام البصريان وبشر بن المعتمر البغدادي وجعفر بن حرب وجعفر ابن بشر وثمامة بن اشرس ومنهم الصباح بن الوليد المرجى شيخهم في زمانه ومنهم ابو ملك الحضرمي شيخ الشروية ومن الامامية هشام بن الحكم الحرار (١) الكوفي وصاحبه السكاك وصاحباه على بن مقسم وعلى بن منصور وابراهيم بن ملك رجل من اهل البصرة يتفقه في ظاهر امره ويصر في الباطل (٢) على امر عظيم والموبذان قاضي المجوس وكان هذا الموبذان المذكور خالصة القوم وعيبتهم وشعارهم ومن ذكرناه سواه دثارهم . ولقد تكلموا فى بعض مجالسهم في العشق فقالوا الفاظا صاغوها على مناقضة الشريعة حتى قال ابو الهذيل فيه انه يختم على النواظر ويطبع على الافئدة ويتعدى فى الاجساد ويسرعه [٣] فى الاكباد وصاحبه منصرف الظنون متنق (٤) الاوهام وقال بقيتهم نحوه وقال الموبذان انه نار تاجج في تامور القلب بين الجوانح واللب

(١) او الجرار (٢) لعله الباطن (٣) كذا بالاصل (٤) لعله متفرق

فيوجد بوجود الاشخاص والتحام الاجرام لان منشاه عن حركات حيوانية وعلل هيولانية وتصرفه الاستقصات لانها تولده والنجوم تنتجه والاسرار العلوية تصوره وهو من كرم العناصر وتداعي الضمائر واتفاق الاهواء ولا يكون الا من اعتدال الصورة وذكاء الفطنة وصفاء المزاج واستواء التركيب والتاليف . — عاصمة — قال القاضي ابوبكر فهانتم اولاء ترون ماياتون به من القحة والتهتك وتقتحمون (١) في البطالات من الترهات والانهماك في الضلالات . ويقال لهم ماعارضهم به من قابل فاسدا بفاسد وهو باب من الجدل وطريق من طرق الحق في مقابلة الفاسد بالفاسد وهو باب من النظر قاطع بالخصم قاصم لظهره . انكم لم تعلموا للعشق حقيقة انما هو معنى يهوى على مهبط الصب من قيضب الغرب (٢) فينزل بلاعج الحب من تيقب القلب فيذهل اللب ويعظم الكرب فقربه البعد وحياته القرب ليس من مزاج الاسطقس ولا من مملكته ولا من تاثر الكواكب ولا افلاكها وانما هو علوي على العلويات بريئى من الهيولات وممنى اذا وقع احرق اقطار السموات فنزل على غير ميقات لايتعلق بالاشباح ولا

---

(١) لعله ويقتحمون (٢) او القرب

يمترج بالحركات ولا يدكه عالم الحواس ولا يعد فى تصرفات الامزجة
ولا يلحقه تاليف لانه فرد لفرد يحرك الا فلاك ولا تحركه
ازمر (١) على البوق ان صاحوا بثبوط ❀ وقابل القوم تخليطا بتخليط
صوت بصوت وخير الصوت افهمه ❀ فاسمع ذها هو افراط بتفريط
وقد ذكر الاستاذ المعظم ابو المظفر طاهر بن محمد الاسفرايني شاهفور
ان هذه المشيخة الركيكة اجتمعوا مع نفر من اصحابهم فى مجلس لهم
للخوض في الباطل وتكلموا فى مسألة مايصح وصف الباري بالقدرة
عليه فزعمت ان الظلم مقدور لله لكنه لايفعله لان وقوعه منه يدل
على حدوثه فقيل لهم مادل على حدوثه لم يوصف بالقدرة عليه كالموت
والحركات . فقال النظام لايقدر الله على مالو وقع منه كان ظلما
وجورا والمعنى فيه انه لو قدر عليه لم يدر لعله قد جار او كذب
فيما مضى او يجور ويكذب في المستقبل او قد جار الآن في
بعض اطراف الارض ولم يكن لنا من جوره وكذبه امان الا
من جهة حسن الظن به فاما دليل يومننا من وقوع ذلك منه فلا
سبيل اليه . فقال له الاسواري يلزمك على هذا الاعتلال ان لا

(١) هذا اقرب ما يفهم من الاصل

يكـون قادرا على ماعلم انه لايفعله واخبرنا به لايفعله لانه لو قدر على ذلك لم نامن وقوعه منه فيما مضى او في المستقبل . قال له النظام هذا لازم فما قـولك فيه فقال انا اسوي بينهما فاقول انه لايقدر على فعل ماعلم انه لايفعله ولا على مالو فعله لكان ظلما منه . فقال النظام للاسوارى قولك هذا الحاد وكفر . وقال ابو الهـذيل للاسوارى ما تقول فى فرعون ومن علم الله سبحانه منهم انهم لايؤمنون هل كانوا قادرين على الايمان ام لا فـان زعمت انهم كانوا قادرين عليه فما يؤمنك من ان يكون قد وقع من بعضهم ماعلم الله انه لايفعله واخبر عنه بانه لايفعله على قول (١) اعتلالك واعتلال النظام فى انكار كما قدرة الله على الظلم والكذب . فقالا هذا لازم لك فما جوابك عنه . فقال انا اقول ان الله تعالى قادر على ان يظلم ويكذب وعلى ماعلم انه لايفعله . فقالا له ارايت لو فعل الظلم والكذب كيف كان حال الدلائل التي دلت على ان الله لايظلم ولا يكذب . فقال هـذا محال . فقالا له كيف يكون المحال مقدورا لله تعالى ولم احلت وقوع ذلك منه مع كونه مقدورا له . فقال لانه لايقع الا عن آفة تدخل عليه

(١) او قود . لان الاعتلال يقود الى ماذكر

ومحال دخول الافات على الله تعالى . فقالا له ومحال ايضا ان يكون قادرا على مالا يقع عنه الا عن آفة تدخل عليه . فبهت . فقال لهم بشر بن المعتمر كل ماانتم فيه تخليط فقالوا لـه فما تقول انت اتقول ان الله قادر على ان يعذب الطفل الذى لاذنب له ام لايقدر عليه فقال اقول بانه قادر على ذلك فقالوا لـه ارايت لو فعل ماقدر عليه مـن تعذيب الطفل لا عن ذنب ماكانت حالة الدلائل التي دلت على انه لايظلم قال لو عذب الطفل ظالما له في تعذيبه لكان الطفل بالغا عاقلا عاصيا مستحقا العقاب الذى اصابه وكانت الدلائل بحالها في دلالتها على عدل الله تعالى فقالوا سخنت عينك كيف يكـون عادلا بفعل ما هو ظلم فقال لهم المراد (١) انكم اكثرتم على استاذى بشر منكرا عظيما وقد يغلط الاستاذ فقال لـه بشر كيف تقول انت قال اقول ان الله عز وجل قادر على الظلم والكذب ولو فعل ذلك لكان الها ظالما كاذبا فقالوا له هل كان مستحقا للعبادة ام لا فان استحقها فالعبادة شكر المعبود والظالم يستحق الذم لا الشكر وان لم يستحق العبادة فكيف يكون من لا يستحق الاها فقال لهم الا انا نقول انه قادر

---

(١) لعله الحرار او الجرار المتقدم



على ان يظلم ويكـذب ولو ظلم وكذب كان صادقا عادلا . فقال له الاسكافى كيف ينقلب الظلم عدلا والكـذب صدقا فقالوا لـه كيف تقول انت فى هذا فقال اقول لو فعل الجور والكـذب ماكان العقل موجودا وما كـان ذلك واقعا (١) لمجنون او منقوص فقال له جعفر بن حرب انك (٢) تقول ان الله يقدر على ظلم المجانين ولا يقدر على (٣) العقلاء . فافترق يومئذ القوم على انقطاع كل واحد وعجزه عن الانفصال عما الزم على مذهبه . فلما انتهت نوبة الاعتزال الى الجبائى وابنه امسكا عن الجواب فى هذه المسئلة . وذكر بعض اصحاب ابي هاشم فى هذه المسئلة في كتابه فقال من قال له هل يصح وقوع مايقدر الله عليه من الظلم والكذب قلنا له لا يصح وقوع ذلك منه ماكان قادرا عليه لان القدرة على المحال محال . فان قال افيجوز وقوعه منه قلنا لايجوز وقوعه منه لعلمه بقبحه وغناه عنه . فان قال اخبرونا لو وقع مقدوره من الظلم والكذب كيف كان يكون حاله في نفسه هل كان يدل وقوع الظلم والكذب منه على جهله

---

(١) لعل الا سقطت هنا (٢) خ انا
(٣) خ ظلم العقلاء

او حاجته قلنا ذلك محال لانا قد علمناه عالما غنيا . فان قال او وقع منه الظلم والكذب هل يجوز ان يقال ان ذلك لايدل على جهله او حاجته قلنا لايقال ذلك لانا قد علمنا دلالة الظلم على جهل فاعله او حاجته ، فان قال مابكم لاتجيبون عن سؤال من سألكم (١) والكذب منه على جهل فاعله او حاجته باثبات ولا نفي قلنا كذلك تقول فهؤلاء دعاة قدرية عصرنا وقد اقروا بعجزهم وعجز اسلافهم عن الجواب فى هذه المسألة ولو وفقوا للصواب فيها لرجعوا الى قول اصحابنا بان الله تعالى قادر على كل مقدور ولو وقع كل مقدور منه لم يكن ظلما منه واحالوا قدرته على كذب يصير به كاذبا كما احال اصحابنا ولتخلصوا عن الالزام من الوجوه التي حكيناها واعتذر الجبائي في امتناعه عن الجواب في هذه المسألة بنعم او بلا فذكر مثل هذا السؤال في النبي فقال اخبرونا عن قولكم في النبي لو فعل ظلما او كذب كيف يكون حاله وزعم ان الجواب في ذلك غير ممكن وهذا ظن منه وجواب اصحابنا فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان معصوما عن الكذب والظلم ولم يكن قادرا عليهما ولا ان يقع منه مالا يقدر عليه . والمعتزلة كلهم غير النظام والاسواري قد وصفوا الله تعالى

---

(١) لعل هنا سقطا والاصل عن دلاله الظلم والكذب .

بالقدرة على الظلم والكذب ثم عجزوا عن اظهار حكمه ان لو فعل مقدورلا منهما — قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه — فقد يبنت لك احوال هذه الطائفه الركيكة اذا هزلوا تساخفوا وتهتكوا واذا جدوا تحيروا وتخاذلوا ثم انثنات البرامكة طامة عظيمة بان كافوا الاجناد (١) ايضا ترجمة كتبهم طبا وطبيعية بالعربية فتولى ذلك يهودي اونصراني او ملحد لاراس مال له في الاسلام فمزج مانقل من الطب بالفاظ وعقائد تتعلق بالالحاد وتعارض الشريعة في فروعها واصولها ليتوهم (٢) [من ترجمت له هذه الامم الفاضلة التي تولت هذه العلوم العربية كانت على هذه النحل] فطمحت نفوسهم الى معرفة تفاصيلها فاجتمعوا وجمعوا آراءهم كما كانت اغراضهم ولم يقدموا قاضيا في البلادالا ان يكون على هذه العقيدة ولا اميرا ولا كاتبا الا وهو فيها ولاينظم في سلك الخاصة الامن كان قائلا بها ولا يتوسع في العطا الا لامثالهم وقد فتن الناس في دينهم وخلا ابن برمك شرا طويلا فكادوا على

---

(١) هكذا بالاصل ٢) كذا بالاصل ولعل الصواب هكذا : من ترجمت له بالعربية ان هذه الامم الفاضلة التي تولت هذه العلوم كانت على هذه النحل .

الملك فى سعيهم واعدوا على الدين داء دخيلا وعم الباطل وظهرت الزندقة وثارت البدع وتوجهت المطالبة على البرامكة الذين كانوا يعضدون القضاة والامراء والعمال والقائلين بذلك فلما لم يمكن مطالبتهم بهذه المعاني عند الخلافة لتعذر الطريق الى ذلك من اقامة البينة وتحصيل الشهادة على وصف العدالة (١) امكانه تدرع الناس الى المطالبة من جهة الدولة والحريم وكانت الملة على الذهاب فانهم كانوا قد بثوا الدعاة في آفاق الارض على وجه يطول شرحه فتدارك الله الملة بان سخر الملك لهدمهم فتقطعوا ايادي سبا وتفرقوا شذر مذر وقد ملؤوا الارض من الباطل واستخلفوا شياطين الانس على اضلال الخلق من فيلسوف واديب حتى لم يبق بيت الا وفيه من كتب الاباطيل مابين ناظر فيها حتى يعلم المراد منها او مختار مايصلح منه وتارك ماسواه اوراد عليه ليلا يتعلق بموحد فيختل عقده او يتزازل . واستمر ما اورثوا من تركتهم وارثوا من نارهم وصار باطلهم ينمى نمو الخضاب فى اليد ليتحقق الوعد الصادق فى فساد الزمان وذهاب الاديان . — عاصمة — ولم يتعرض لحماية الدين الا آحاد اختارهم الله

(١) بياض لعله ولعدم او نحوه

له ونصبهم للذب عنه فاولهم ابو الحسن الاشعري، وعارضه ابن ورقا
امير البصرة فقام به وجرت بينهما حروب جدال مذكـورة وتواتر
بعده الاصحاب في الاحقاب على الاعقاب فحفظ الله دينه على من اراد
هدايته فلم يبق وجه من البيان الا اوضحوه ولا سبيل من الادلة الا
نهجوها وانتدب (١) الى كتاب الله فشرحه في خمس ٥٠٠ماتة مجلد وسماه
بالمختزن فمنه اخذ الناس كتبهم ومنه اخـذ عبد الجبار الهمداني كتابه
في تفسير القرءان الذى سماه بالمحيط فى مائة سفر قرأته في خزانة
المدرسة النظامية بمدينة السلام وانتدب له الصاحب ابن عباد فبذل
فيه عشرة آلاف دينار للخازن فى دار الخلافة والقا النار في الخزانة
واحترقت الكتب وكانت تلك نسخة واحدة لم يكن غيرها ففقدت
من ايدي الناس الا انى رايت الاستاذ الزاهد الامام ابا بكر بن
فورك يحكى عنه فلا ادري وقع علي بعضه ام اخذه من افواه الرجل
(٢) فعليكم بكتب القوم (٣) فهي الشفاء من الداء العياء . وكانت
هذه الطائفة الثائرة فى هذه الدولة القوية المسماة بالبرمكية قد سعت

---

(١) يعني الاشعري (٢) لعل الصواب الرجال (٣) يعني بهم المذكورين قبل من الاشعري واصحابه

فى كيد الاسلام كما بينا واصطنعت من ذكرنا وتكاثرت فربت في حجرها طوائف كابن المقفع وابن الراوندى والجاحظ المعتزلي وكثير من امثالهم قداستسنوا في الستر انه لامدرك الا العقول وانها تغني عن الرسل ولامدرك فى عقد او قول او عمل الا والعقل مستقل به.
وقسموا المدارك اربعة . — المدرك الاول — معرفة الموجودات كالسماء وما اشتملت عليها من افلاك دائرات وكواكب نيرات والارض وما كان فيها من معدن ونبات وعددوا مركبات وبسائط مفردات وهى الماء والهواء والتراب والنار ، والمعادن واجتماعها مزاجا ؛ وافتراقها تمددا وازدواجا ، على الجملة فى كلها وعلى التفصيل فى النظر في الانسان وتركيبه وما يختلف عليه من احواله ، والمطر وما يرتبط به . — المدرك الثانى — سموه ماوراء الطبيعة وهو النظر فى الصانع ماهو وما هو عليه وكيف نشات الموجودات عنه وترتبت منه — المدرك الثالث — النظر فى المصالح العامة التي تقوم بالقانون الانسانى فى خلقة وخلقه مما يتعلق بصفاته وتكرماته ودناءاته (١) وساقوا ذلك كله على تدبير فى النظر سموه السياسة وادب النفس

---

(١) زادفي خ وشهواته

وغير ذلك (١) ومهد واقبل ذالك ذاه طريقا الى تحصيل هذه المدارك بالعقول سموه المنطق مهدوا فيه بزعمهم انواع الادلة وشروط النظر مستوفي بتفهيم المفردات منه ثم وجه التركيب عليه وقسموه ثمانية اقسام وكانت هذه امورا تكلمت فيها الاوائل عند دروس الشرائع وفترات الرسل وتمكن الشيطان من الخلق في مزج الباطل بالحق فارسل فيهم جنود الضلالات بهذه المقالات. وعند مابعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم على درس من الملل وانطماس من السبل وفترة من الرسل باظهر الايات وظهرت له الف من المعجزات حسب ما املیناها فی کتاب انوار الفجر من مجالس الذكر فانقذ الله به الخلائق من الهلكه واعلابه من الاسلام الكلمة واكمل به علينا النعمة ثم استاثر به وما زالت الحال تنقص حسب ماوعز به حتى آلت الحال الى ما آلت اليه ولا بد من نفوذ تمام الوعد كما نفذ ابتداؤه فصار عند الخلق بهذه المعاني. —قاصمه— لم تبق لهم قائمة ومن اغرب مادسوه الينا على لحم الخنزير وانه يناسب لحم بني آدم فصار بذلك اعدل اللحوم.

— عاصمة — قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه يالله (٢) وذهاب

---

(١) لم يذكر المدرك الرابع فلعل طريق المدارك وهو المنطق عد رابعا لها (٢) لعل الاصل من

العقول الى ذهاب الاديان . يترجم اليهودي والنصرانى والملحد عن رجل يسمى جالينوس لا ندري من هو ولا علي اي ملة كان الاماحكوا عنه من انفسهم وترجموه باختيارهم فيجعل اصلا ماترجمه في الاعتقاد والعمل وهبك انا سمعنا ذلك من راس الاطباء يقال لهم بم علمتم ان لحم الخنزير اعدل اللحوم . بشعره اذ مسخ ، او بلونه اذا سلخ ، ام بطعمه اذا طبخ ، ام بشحمه اذا سلخ واي مناسبة بينه وبين الانسان الا من جهة الحيوانية وذلك يشترك معه فيه (١) مع الثور والقرد هذا على رجلين وذلك على اربع وانت ترى لحم ذوات الاربع كيف تختلف مراتبها ويتبين (٢) بعضها عن بعض في طبائعها وكذلك مايمشى على بطنه من الحيوان تختلف مرتبتهم وتتباين اكثر من تباين ذوات الاربع وتبعد عن ذوات الاربع ابعادا عظيمة وان لحوم ذوات الاربع عندهم لتتباين فى طبائعها ومنافعها ومضارها على انها ذوات اوبار واشعار . فما تقرب (٣) من الخنزير من يمشى على رجليه . هل هو الا ارادة منهم لاحياء دينهم وعضد لنحلتهم . هلا قالوا ان لحم القرد اشبه بلحم الانسان لحدة ذهنه وعظيم فهمه . وان كل حيوان نسج بطبعه

---

(١) لعل مع زائدة (٢) او يتميز او يتباين (٣) او يقرب

الا الادمي والقرد . اولست تراه يصرف انامله تصرف الانسان وهل الاخلاق عندهم الا آثار الخلقة ، والحركات الا امارات الطبيعة فاين هم عن هذا معرضون ، قاتلهم الله انى يوفكون ؛ ونصر هذه الطائفة العمياء من اصحابنا ومن اهل جلدتنا فانهم عن هذا غافلون . — مزيد بيان — ان البارى في مخلوقاته يفعل مايريد ويغاير في مخلوقاته بين الاجناس والانواع خلق الحيوان على انواع كما خلق النبات على انواع صارت بعدها اجناسا فمن الحيوان ماش على رجلين ومنهم على اربع ومنهم على بطنه . والاصل ماء ، وليقل قائلهم ماشاء ،(١) فايانه ، ذلك قرط اذن وطرق جيد ووشاح خصر وخدم قدم وسوار ساعد وقد جعل تعالى كل الحيوان بلسان واحد وجعل للحية لسانين وكذلك كل حيوان اذا قطعت له رجل تدرج على الاخرى الا النعام وجميع الحيوان له كرش ورئة الا الفرس وكذلك الحوت ليست له رئة وجميع حوت البحر له لسان وحوت البحر له اسنان وجميع بني آدم والقرد فانها في البدن وجميع الحيوان اذا نام اغلق عينيه الا الارنب ومن اغرب ماذكروا عن الذئب انه يغلق عينه الواحدة وينام ء

---

(١) او فيلزمه

ويفتح الاخرى يحرس بها فاذا مضى نصف الليل داول بينهما وقالوا
ان الاسد يفترس كل شيء الا المراة الحائض اذا رميت اليه اعرض
عنها والنطف تختلف بقاوها في الارحام مع اتحاد الحيوانية والتوليد
فاقله شهران واكثره للفيل سبع سنين الى اشياء غريبة هم قاوها وما
عقلوها ولا ردوا الى المشيئه والاثار امرها ولا جواب لهم عنها . قال
القاضي ابوبكر رضي الله عنه -- عاصمة -- وقد جاء الله كما قدمنا
بطائفة تجردت لهم وانتدبت بتسخير الله وتاييده للرد عليهم ممن قدمنا
ذكره من اعيان الائمة الا انهم لم يكلموهم بلغتهم ولا ردوا عليهم
بطريقتهم واما ردوا عليهم وعلى اخوانهم من المبتدعة بما ذكر الله في
كتابه وعليه لنا على لسان رسوله فلما لم يفهموا تلك الاغراض بما
استولى على قلوبهم من صدإ الباطل طفقوا يهزؤن من تلك العبارات
ويطعنون على تلك الدلالات وينسبون قائلها الى الجهالات ويضحكون
مع اقرانهم في الخلوات . فانتدب للرد عليهم بلغتهم ومكافحتهم
بسلاحهم والنقض عليهم بادلتهم ابو حامد الغزالي فاجاد فيما افاد
وابدع في ذلك كما اراد الله واراد وبلغ في فضيحتهم المراد
وافسد قولهم من قولهم وذبحهم بمداهم فكان من جيد ما

وغير ذلك ومهدوا (١) قبل ذلك كله طريقا الى تحصيل هذه المدارك بالعقول سموه المنطق مهدوا فيه بزعمهم انواع الادلة وشروط النظر مستوفى بتفهيم المفردات منه ثم وجه التركيب عليه وقسموه ثمانية اقسام وكانت هذه امورا تكلمت فيها الاوائل عند دروس الشرائع وفترات الرسل وتمكن الشيطان من الخلق في مزج الباطل بالحق فارسل فيهم جنود الضلالات بهذه المقالات . وعند مابعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم على درس من الملل وانطماس من السبل وفترة من الرسل باظهر الايات وظهرت له الف من المعجزات حسب ما امليناها فى كتاب انوار الفجر من مجالس الذكر فانقذ الله به الخلائق من الهلكة واعلابه من الاسلام الكلمة واكمل به علينا النعمة ثم استأثر به وما زالت الحال تنقص حسب ماأوعز به حتى آلت الحال الى ما آلت اليه ولا بد من نفوذ تمام الوعد كما نفذ ابتداؤه فصار عند الخلق بهذه المعاني . — قاصمة — لم تبق لهم قائمة ومن اغرب مادسوه الينا على لحم الخنزير وانه يناسب لحم بني آدم فصار بذلك اعدل اللحوم. — عاصمة — قال ابوبكر رضى الله عنه يالله (٢) وذهاب العقول الى

---

(١) لم يذكر المدرك الرابع فلعل طريق المدارك وهو المنطق هو رابعها (٢) لعل الاصل من

ذهاب الاديان! يترجم اليهودى والنصرانى والملحد عن رجل يسمى جالينوس لاندرى من هو ولا على اى ملة كان الا ماحكوا عنه من انفسهم وترجموه باختيارهم فيجعل اصلا ماترجمه في الاعتقاد والعمل وهبك انا سمعنا ذلك من راس الاطباء يقال لهم! بم علمتم ان لحم الخنزير اعدل اللحوم . بشعره اذ مسخ ؛ او بلونه اذا سلخ، ام بطعمه اذا طبخ ، ام بشحمه اذا سلخ واي مناسبة بينه وبين الانسان الا من جهة الحيوانية وذلك يشترك معه فيه (١) مع الثور والقرد وهذا على رجلين وذلك على اربع وانت ترى لحم ذوات الاربع كيف تختلف مراتبها ويتبين (٢) بعضها عن بعض في طبائعها وكذلك ما يمشي على بطنه من الحيوان تختلف مرتبتهم وتتباين اكثر من تباين ذوات الاربع وتبعد عن ذوات الاربع ابعادا عظيمة وان لحوم ذوات الاربع عندهم لتتباين في طبائعها ومنافعها ومضارها على انها ذوات او باروا شعار . فما تقرب (٣) من الخنزير من يمشي ع[illegible] [illegible] . هل هو الا ارادة منهم لاحياء دينهم وعضد لنحلتهم . هلا [illegible] ن لحم القرد اشبه بلحم الانسان لحدة ذهنه وعظيم فهمه . وان [illegible] = وان نسج

(١) لعل مع زايدة «٢» او يتميز او يباين [٣] او يقرب

بطبعه الا الادمي والقرد ـ او لست تراه يصرف انامله تصرف الانسان وهل الاخلاق عندهم الا آثار الخلقة ، والحركات الا امارات الطبيعة فاين هم عن هذا معرضون ، قاتلهم الله انى يوفكون ، ونصر هذه الطائفة العمياء من اصحابنا ومن اهل جلدتنا فانهم عن هذا غافلون ـ — مزيد بيان — ان البارى فى مخلوقاته يفعل مايريد ويغاير فى مخلوقاته بين الاجناس والانواع خلق الحيوان على انواع كما خلق النبات على انوا ع صارت بعدها اجناسا فمن الحيوان ماش على رجلين ومنهم على اربع ومنهم على بطنه ـ والاصل ماء ، وليقل قائلهم ما شاء ـ (١) فليلزمه ذلك قرط اذن وطوق جيد ووشاح خصر وخدم قدم وسوار ساعد وقد جعل تعالى كل الحيوان بلسان واحد وجعل للحية لسانين وكذلك كل حيوان اذا قطعت له رجل تدرج على الاخرى الا النعام وجميع الحيوان له كرش ورئة الا الفرس وكذلك الحوت ليست له رئة وجميع حوت الماء لـه لسان وحوت البحر له لسانان وجميع بني آدم ركبهم في ارجلهم والبهائم ركبها فى ايديها وقالوا ان جميع بهائم الوحش كفرها في ارجلها الا ابن آدم والقرد

---

[١] اوفيلزمه

فانها في الايدي وجميع الحيوان اذا نام اغلق عينيه الا الارنب ومن
اغرب ماقالوا عن الذيب انه يغلق عينه الواحدة ينام بها ويفتح الاخرى
يحرس بها فاذا مضى نصف الليل داول بينهما وقالوا ان الاسد
يفترس كل شيء الا المراة الحائض اذا رميت اليه اعرض عنها والنطف
تختلف بقاوها فى الارحام مع اتحاد الحيوانية والتوليد فاقله شهران
واكثره للفيل سبع سنين الي اشياء غريبة هم نقلوها وما عقلوها ولا
ردوا الي المشيئة والاثار امرها ولا جواب لهم عنها . قال القاضى
ابوبكر رضى الله عنه —عاصمة— وقد جاء الله كما قدمنا بطائفة
تجردت لهم وانتدبت بتسخير الله وتاييده للرد عليهم ممن قدمنا ذكره
من اعيان الائمة الا انهم لم يكلموهم بلغتهم ولا ردوا عليهم بطريقتهم
وانما ردوا عليهم وعلى اخوانهم من المبتدعة بما ذكر الله فى كتابه
وعلمه لنا على لسان رسوله فلما لم يفهموا تلك الاغراض بما استولي على
قلوبهم من صدإ الباطل طفقوا يهزؤن من تلك العبارات ويطعنون
على تلك الدلالات وينسبون قائلها الي الجهالات ويضحكون مع
اقرانهم فى الخلوات . فانتدب للرد عليهم بلغتهم ومكافحتهم بسلاحهم
والنقض عليهم بادلتهم ابوحامد الغزالي فاجاد فيما افاد وابدع فى

ذلك كما اراد الله واراد وبلغ في فضيحتهم المراد فافسد قولهم من قولهم وذبحهم بمداهم فكان من جيدما اتاه (١) واحسن ماروا١ ورءا١. وافرد فيما يختصون به دون مشاركة اهل البدع لهم كتابا سماه تهافت الفلاسفة ظهر (٢) فيه منته ، وصحت في درجة العلم منزلته ، وابدع في استخراج الادلة من القران على رسم الترتيب في الوزن الذي شرطوه على قوانين خمسة بديعة في كتاب سماه القسطاس ماشاه . واخذ في معيار العلم عليهم طريق المنطق فرتبه بالامثلة الفقهية والكلامية حتى يجافيه رسم الفلاسفة ولم يترك لهم مثالا ولا ممثلا واخرجه خالصا عن دسائسهم بيدانه ادخل فيه اغراضا صوفية فيها غلو وافراط ، وتداآل (٣) علي الشرع وانبساط . وقد كان تعرض سخيف من بادية بلدنا يعرف بابن حزم حين طالع شيئا من كلام الكندى الى ان يصنف في المنطق فجاء بما يشبه عقله ويشاكل قدره . وكان ابوحامد تاجا في هامة الليالي ، وعقدا في لبة المعالي ، حتي اوغل في التصوف واكثر معهم التصرف ، فخرج على الحقيقة ؛ وحاد في اكثر احواله عن الطريقة ؛ وجاء بالفاظ لاتطاق . ومعان ليس لها مع الشريعة انتظام ولا اتساق .

(١) او بناه (٢) الاولي ظهرت (٣) كذا بالاصل

فكان علماء بغداد يقولون لقد اصابت الاسلام فيه عين فاذا ذكروه جعلوه فى حيز العدم ، وقرعوا عليه السن من ندم ، وقاموا فى التاسف عليه على قدم . فان لقيته لقيت رجلا قد علا في نفسه : ابن وقته لايبالي بغده ولا امسه . فواحسرتاه عليه اي شخص افسد من ذاته ، واي علم خلط وخلط فيه مفرداته . ماذا الام من المحامد ، وكم حايد عنه وحامد . وكان من ترجم عن الفلاسفة ترتيب الادلة الذي سموه حد المنطق قد ضرب فيه الامثلة الهندسية والطبائعية والالاهية ليتدرب القارى بذكرها ويانس بتكرارها ويطمح الى مطالعتها ويتشرف (١) ويستعد لاعتقادها حتى يعلمها وهى في كل ذلك تسدك (٢) بقلبه ويطمح اليها بطرفه ويتعلق منها بامنيته فتزل بها (٣) القدم . وعلى كل حال فالذى اراه لكم على الاطلاق ان تقصروا على كتب علمائنا الاشعرية وعلى العبارات الاسلامية والادلة القرءانية وانتم في غنا عن ذلك كله . وخذوا في ذلك مني نصيحة مشحونة بنكت من الادلة وهى ان الله سبحانه رد على الكفار على اختلاف اصنافهم من ملحدة وعبدة اوثان واهل كتاب وطبيعة وصباة وشركة (٤) ويهودية بكلامه وساق

---

[١] او يتشدن (٢) او تندك (٣) خ به (٤) لعل الصواب شركية

افضل سياق ادلته وجاء بها في احكم نظام وابدع ترتيب فعلى ذلك
فعولوا فان اباحامد وغيره وان كان لبس للحال معهم لبوسها ،
واخذ نعيمها ورفض بوسها واحيا ارواحها ونفوسها ، فليس كل
قلب يحتمله وقل وجود نفس تستقل به فهو وان كان سبيلا للعلم
ولكنه مشحون بالغرر والشرع قد نهى عنه والعقل يستحث عن
الانكفاف والهروب منه . اما ان الرجل اذا وجد من نفسه منة او
تفرس فيه الشيخ المعلم له ذلك فلا بد من توقيفه على ماخذ الادلة
واتساعه في درجات العلم وتمكنه من بحبوحات المعارف حتي يكون
مستقلا باعباء الشريعة مطيقا علي حمل اثقالها بصيرا بالنضال عنها والذب
عن حرماتها اذا احتيج اليه فيها . — واما اصحاب الطبيعة — فقصتهم
بديعة ؛ وذلك ان القدرية لما كانت تدين دينها وتنشر عقيدتها وكان
الجاحظ المفترى علي جهالته وثمامة بن اشرس علي خساسته وابن المقفع
علي فهاهته وابن الراوندى على حماقته ومن تابع كل واحد منهم في
صفاته تسترت بالاسلام ولبست جلدته لستر عورتها في مخالفته وجعلت
تعتال (١) الدين بمعان ترهب (٢) بها علي العامة وتاخذها من ظواهر

---

[١] الظاهر تغتال (٢) او تذهب

الالفاظ وتدس مذاهبها في عقائدها كانها تعضد الاسلام تتعلق فى ذلك بايات متشابهات واحاديث مشكلات فتركت المحكم وراء ظهرها لان ارباب الطبيعة يدعون ان النشأ في هذا العالم على التركيب انما هو من تاثير البسائط في الاصل (١) وينشا مركب عن مركب هكذا على الترتيب وذلك لانهم رأوا تركيب الكون فى الموجودات المشاهدات واحداً بعد واحد فنسبوا الثاني الى الاول وعلقوا اللاحق بالسابق والحقوا المتقدم (٢) المتاخر وجعلوه منه باقترانه به في الوجود وارتباطه معه فى التواصل وذهلوا عن المنشىء الحقيقي فكانت بصائرهم عبيدا لابصار هم وجدا لهم اقوى من ابصارهم وتخيلت المعتزلة ومن دان دينها من القدرية فقالوا ان الثانى يكون عن الاول برسم التولد . قال القاضي ابوبكر هذه لفظة اخترعها لهم الجاحظ المترى مستفادة من الولادة وهى خروج الشيء من الشيء وكان هذا لما نشا عن هذا ولم يقولوا انشاه احترازا من المشاركة مع المنشىء المنفرد سبحنه فقالوا انشا (٣) عنه وعبروا عنه بالتولد تحسينا له واخراجا له بزعمهم من حيز المجهول الى حيز المعلوم . فاما الفلاسفة فبنوه على

---

(١) خ في الارض (٢) اي المتقدم بالمتاخر (٣) اما نشا واما انشئ

اصلهم فى ان الفاعل لا يفتقر فى كونه فاعلا الى حياة وقدرة وارادة بل يكون شيء عن شيء بامور باردة ورتب فاسدة حتى ان بعضهم يقول في تحقيقه حين ظهر له ان شيئا من الكوائن لا بدله من مكون ان الافلاك تتحرك بعشق بعضها لبعض اذا لمحرك منها واحد للاخر حتى ينتهي الى فلك الاخير فيقول انه تحرك بعشقه للاخير فهي حركة(١) عشقه ففر هؤلاء من هذه المقالة لاشنوعتها وقالوا نشأ هذا عن هذا وعبروا عنه بالتولد تحسينا له كما قدمنا ، وعلى قاعدة الفلاسفة قعدوا وحول دائرتهم دوروا ولكن قاعدتهم ا‌[illegible]ت بهم ودائرتهم ظنت(٢) عليهم وقد تمهدت القواعد الشرعية والعق[illegible] فى اثبات الصانع وانا امهد لكم طريقين [٣] — الطريق (٤) الاول — ان الخاطر اذا جال فيه ان التكوينات فى عالم الكون والفساد فى محاط فلك القمر يترتب فى الوجود من ذواتها بطبعها او من ذات اخرى بطبعها فيها وانطباع هذه لها حتى ينتهى الى المراد (٥) فاحضر بذهنك وردها الى ماقبلها حتى تنتهي معهم الى موقف اول لاسابق له فان اراد ان يتمادى قيل له قف ياسيار قد سال بك التيار وان كنت تمشي فى

---

(١) كذا بالاصل [٢] او كانت [٣] او طريقتين (٤) خ الطريقة الاولى (٥) او فاحصر

معقول فلا تتعده الى تعطيل وتتيه فى التضليل وتقع فى غير معقول بالتسلسل الى ماليس بمحصول . واذا وقف الخاطر او المناظر ولا بد له من ذلك قيل لهما او لاحدهما هذا المنتهى في النظر المبتدا فى الكون كيف يكون هذا عنه صادرا يكون على وجه صدور الفعل المفعول من الفاعل المعقول ذى القدرة والحياة والعلم والارادة والتدبير والتقدير ، او صدور حركة الخاتم عن حركة اليد . فان اوقفوه على فاعل بتلك الصفات فقد وقعت دائرة النظر على قطب التوحيد وان هم قالوا انه يصدر عنه صدور كوكة الخاتم عن حركة اليد فيلزمهم ان لايصدر عن الاول الاثان يماثله وهكذا الى الاخر فمن اين ينشا التغير وياتي الضد عن الضد والمختلف عن المتفق والعدد عن المفرد . وعلى هذه القاعدة فى دلالة الصانع نبه الله سبحانه بقوله « وفى الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان في ذلك لايات لقوم يعقلون . » فنبه بهذه الاية فى الاحرف اليسيرة على المعاني العظيمة بالادلة المعدودة بانك تنظر الى الارض مابين سهل وحزن وحجر وتراب لدن انواع مختلفة وارواح مفترقة زرع ونبات

واشجار اشتات اصل كل شيء منها واحد . ينظر الى الجنة التي تنبت عنها ذات اجزاء متساوية فاذا تزايدت للنبات تزايلت عن تلك الصفات وانقسمت الى عرق يعلوه قشر (١) يتراقا الى غصن ينتهي الى عذق ينقسم الى ورق وزهر وثمر . الارض واحدة والماء واحد والجنة واحدة وكل ماينشا عنها لا يماثلها ولا يماثل في نفسه . بل لكل واحدة هيئة مخصوصة ولون مخصوص وطعم مخصوص . والماء الذي شانه الرسوب يصعد الى الجميع ويجرى فيه حتي يسيل على جميع جـوانبه ونواحيه . فيايها الحاضر والناظر ، اين الفاظك الرائقة ، وحكمتك الفائقة ابن لي هذه الاختلافات كيف تعدد (٢) والطبع واحد دون شروط الفاعل المتصف بالفعل (٣) حقيقة ، هيهات ها انا معك دائر فقل ما انت قائل وصر الى ما انت صائر ، وابن لي كيف دارت عليك الدوائر ، وخذلتك الصبائع ، فما لك من قوة ولا ناصر . ودعني من نويبغة اذا وقف على هذا زوى حاجبه وادار قرنيه وفرق كالمبتسم بين شفتيه فليخرج مايصدر : وليذكر ماشاء ان يذكر ، فهذه الطريقة لازمة لـه فلا مبرح له عنها ولا محيص منها — الطريقة الثانية —

---

(١) او يترقي (٢) اى تتعدد (٣) خ بالصنع

لاخلاف بينهم ان النيرات السبعة فى الافلاك السبعة هى الفاعلة المدبرة ولكل واحد منها جزء ينفرد به ولكنهم جعلوا الادمي بينهم عضين وقسموه عليهم واعطوا لكل واحد منها جزءا من الادمي وشهرا من ايام تربيته وحينا . فيقال لهم ليس هذا معلوم (١) ضرورة فيتفق العقلاء عليه ولا وجدنا نظرا يوصل اليه ولا روينا خبرا يدل عليه ، هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين . وكل ماذكروه فقد تقدم ذكرا بطالهـ

— مضايقة — اذا قلتم ان الكون والفساد فى مقعر فلك القمر فمن اين يصل عنها تاثر مافوقهما من باقي الصانعين ولا يخلو ان يكون فلك القمر محيطا بهذا العالم او يكتنف (٢) بعضه ويبقي البعض فى خلاء عنه وايها قلتم فلا مخرج لكم منه . ان قلتم انه محيط به وان هذا العالم فى محاطه كالدرة في الدرج فمن يجمع بينه وبين تاثر مافوقه وبينهما حجابه وحجب غيره ان كانوا على مثاله ومحال وصول التاثير عندكم من وراء حجاب يملا الفم ذكره فكيف قدره . وان قلتم انه لا يحيط فلك القمر بهذا العالم فما يخرج عن محاذاة فلك القمر هل يحيط به خلاء اوله محيط اخر سواه ، فان قلتم يحيط به خلاء فلعدم ليس

---

(١) يقرا بالاضافة (٢) او ويكن

بمحيط ولامحاط به ولاهو طريق لشيء ولاعليه طريق لامحسوسا ولا معقولا. وان قلتم ان هناك محيطا به فعينوه. فان قلتم انه يحيط به الذى فوقه قلنا لكم وما حكم الفلك الثانى آ الاحاطة بجميع فلك القمر او بعضه فان قلتم بجميعه فما هذا التحكم اوما دلكم عليه. وان قلتم انه اكبر منه قيل لكم وقد يكون الشيأن عظيمين متقاويين فى حيزين مختلفين وان قلتم انه يحيط ببعضه فهل يقابل المحيط منه للمحيط من فلك القمر او يقابل الخالى من احاطته فان قال الخالى فلم لا يصل تاثر الثانى او الثالث الى هذا الموثر دون ترتيب مع هذا الموثر الاول حتى يتعارضا فيما فعل كل واحد منهما فيفسد التدبير ويختل النظام. وقد جملتك على هذا الاصل فخذه بكل فصل وادره بجميع وجوهه فليس لهم عنه محيص(١) وقد قلت في هذا المعنى لبعض اصحابنا ابياتا توحيدية

كن للاله كما كان لك ولا تهتبل بمدار الفلك
فان الاله قد احكمت معاليه من عال او من ملك
ومن ذل او عز فى مو طن ومن عاش فى نعمة اوهلك
فلا ترج ذلك من غيره ودع عنك من شك اوخذلك

---

(١) خ مناص

وخل المضلين فى غيهم وقل للكواكب من اصلك

وانت تغور وانت تمور فمن غاص منك ومن بدلك

ولو فلك دار من ذاته اقام اذ شاءه اوسلك

وان لم يكن ذاك من طوقه فانى يقال له ذاك لك

فليس المدبر الاالذى تغاير عنك وما شاكلك

فيا يها الندب ماعقلك ويا يها الفدم ما اغفلك

أمن كان عن صونه عاجزا ازجوه للغير ماجهلك

تنبه فقد بان وجه الدليل وقد آن ان(٢)تعرفمن دل لك

— تنزيل — لما تعلقت القدرية بدليل الفلسفية في هذه المسالة والفيناها تحتها نزلنا فى الكلام معها وهتكنا سترها ، وفصل القول معهم فى التوليد معلوم وقد طوله القاضي والشيخ ابو الحسن لكن بمناقضات لا بدلالات فانه اسخف من ان يدل على فساده ، وانما اراد هؤلاء العلماء انهم لم يوفوا به وانهم يناقضوا فيه فشانكم واياه ، واما نحن فنورده عليهم طريقة قريبة المرام ضابطة لشعب الكلام فنقول قد حررناها قبل هذ بنصها فى غير ما املاء حتي يكون

---

(٢) الصواب اسقاط ان للوزن

التكرار لتوكيد الالفاظ والمعانى ، فذلك اضبط لها : واول من يؤثر عنه هذا المذهب معمر القدري والجاحظ المفتري وقد قام بحمد الله وتوفيقه الدليل على ان الله وحده خالق الاجسام والاعراض وتبين ان العبد مكتسب غير فاعل فاذا ثبت استحالة الفعل من الحي العالم الذي يقبل الامر والنهي فاستحالته من الموات اثبت ، ولان الاحراق الكائن مع اتصال النار بالاجسام المحترقة فعل محكم ان اضيف اليها بطل الاستدلال بالفعل المحكم على الحياة والعلم نعم وعلى الوجوب وانقلبت الحقائق وبطلت الادلة ، ولان النار (١) وان احرقت بذاتها وجب ان تحرق كل ما يتصل بها من حر (٢) وبارد ورطب ويابس فان كانت تحرق بصفة لها وهى الحرارة فلا يخلو ان تنتقل الى المحترق وذلك باطل لاستحالة بقاء العرض فضلا عن انتقاله او تحرق الحرارة وهى قائمة بالنار وهى مع ذلك محال شنيع وهى تجرد (٣) الاحكام للمحال والمعاني القائمة فمحال آخر فيبيض عمر ببياض زيد ويسود بكر بسواد خالد ، فان قيل اني المشاهدة تريد ان تشكك الخلق قلنا المشاهدة وجود الاحراق فاما

---

(١) لعل الاولى بسقوط الواو (٢) الاولى حار [٣] او تجدد

نسبته الى النار فدعوى ، فان قيل وجدنا النسبة عربية شرعية قلنا
اضاف الله تعالى المعاني الى الاسباب عند وجودها على حكم اللغة
العربية . والحقيقة وراء ذلك ، والذى يكشف الغطاء معهم في ذلك
ان يقال لهم ليس لكم عمدة الا اقتران الوجودين وهو ايصال النار
بالاجسام ووجود الاحراق حينئذ فجهلكم بحقيقة الفاعل القادر
اضفتموه الى الجماد ولم يراقبوا ان يقولوا ان جمادا فاعل قوى محكم فيلزمكم
مثله فى الاقترانات الموجودات فى العالم كلها • واوثقها حجة واضحها
محجه الاب والام يتولد بينهما الولد فاذا اودع الاب النطفة فى الرحم
اقترن بذلك اختلاف الاوصاف على النطفة واسلاك الروح فيها
والقوى المحركة والمدركة ولا يقال انها موجودة به ولا مضافة اليه
وان اقترن ذلك به بل يحيلونها على الاول بواسطة وبغير واسطة من
اسماء يسمونها ملائكة وماذا يقولون فيهامن البهتان وينصرهون(١)
به من الطغيان وذلك يلزمهم فيمن غمض عينيه فلم ير شيئا ففتح
عينيه فادرك الالوان فيقول ان فتح البصر ولد ادراك الالوان
في العينين وكذلك فى نور الشمس مثله و فى اقترانات لا تحصى

---

(١) كذا بالاصل

كثيرة فبطل هذا التعلق جملة ولكنهم لما راوها الفاظا اعتادوها سدكت بقلوبهم حتى لم يستطيعوا ان ينزعوها عنها وقد استوفينا ذلك فى كتب الاصول وهذه نبذة منه — التفات — ونعود الى القول مع من انتدبنا اليه فنقول واما المتالهة منهم فهم اعظم الطوائف فليقة وارداهم طريقة لا يعقد (١) معهم على قول ولا يستقر معهم من التحقيق على منزل ومال الحاصل من تخليطهم الى قدم العالم الذي ينبنى على عدم الصانع ويعتقدون استحالة الفنا الذى بنوه على انكار الحشر والنشر والثواب والعقاب ومنهم من يذكر الصانع والحشر والثواب اسماء لا مسميات لها كما قال الشاعر

اجتروزور على نار مضرمة   اوفى نعيم اركب اوعلى قدم (٢)
اسماء منقبة فى غير مرتبه   كالشي يخبر عنه وهو فى العدم

واذا نظرت الى كلامهم في ذلك كان لك معهم طريقان احدهما التعلق بما لم يطردوه على اصلهم ولا وفوا بعهده المعقول فيه وهى مناقضة عائدة على اصل من اصول علومهم الضرورية بالبطلان وذلك انهم يقولون هذه الهيئة لا نفاد ولا انقضا ولا استحالة ولا تغير بافلاكها

---

(١) هذا اقرب مايظهر من الاصل (٢) كذا بالاصل ولم افهمه

وصفاتها وحركاتها واقسامها فيقال لهم فاذا كانت حركة القمر في فلكه لانهاية لها وحركة زحل لانهاية لها فلا يصح ان تنسب احداهما الى الاخرى لان مالايتناهى لاينسب مما (١) لايتناهي فان نسبوا فقد خرجوا عن المعقول ولا بد لهم من ذلك وان لم ينسبوا فقد ابطلوا مذهبهم وتدبيرهم ونسبة شيء الى شيء منها اوبها — الثاني — ان يقال لهم كل ما كان له اول جاز ان يكون له اخر لانه لايصح ان يوجد لنفسه وما اوجده غيره جاز ان يعدمه . ولما وقف النظر الى هذا الموضع الذي لابد منه انكروا العدم وفى الاول (٢) وانكروا الاعدام وجوزوا وجود شيء من شيء واحالوا عدمه منه او من غيره وكان فى ذلك كلام طويل ليس هذا موضعه هذا القول يسكتهم عنه ويجديهم (٣) معكم . ومن الغريب ان صاحب الجيم عندهم قال لو كانت الشمس فانية لادركها الذبول بطول الفنا فيقال له هذا فاسد على مذهبك وعلى طريق الحق . اما فساد ذلك على مذهبك فالذبول عندك انما يكون بنضب المادة ولعل مادة الشمس لم تنضب واما على مذهبنا فلان العدم انما يكون عن قطع الاعراض وذلك مبين

---

(١) لعل الاولى لما (٢) لعل الصواب سقوط الواو (٣) هذا اقرب مايظهر

على التحقيق ى كتب الاصول بجميع وجوهه ـ وقد قال ابـو الحسن معرفة الصانع ضرورة وتحقيقه انه ان كان العالم صنعة فهي صادرة عن صانع قطعا ضرورة المعي واللفظ واما الفناء الذي احالوه فشاهـد فى بعض العالم وهو معلوم فيما لم يشاهد بالدليل المتقدم حسبما سطر ـفي كتب الاصول واما انكار الحشر فشاهد [١] فى اشادة النبات بعد الاستحصاد وهم يقولون هذا فى عالم الكون والفساد ـ قلنا عنه جوابان — احدهما — انه اذا ثبت وجود الاعادة للماني كجريان العادة فيه على وجه لايلزم ان تكون تلك العادة واجبة الا على تقدير ان يكون الفعل من تلك الاسباب وقد بينا فساده فلم يبق الا انه يعيده الفاعل متي شاء كما اخبر . وقد قالوا ان الصفة تعود على التفصيل والجملة بعد الدورة العظمى وذلك لاثنين وسبعين الفا دوريا في نقطي الحمل والجدي فيقال لهم فهل تعود بصفتها على الجملة والتفصيل او بالبعض فان قيل تعود بالكل قلنا فلم لانذكر انفسنا كما كنا وان قيل تعود بالبعض لانا قد فاتنا ذكر ذلك فينا قلنا فالذي فوت الذكر لتلك الصفة يفوت منها غيره ويعدمها ويوخرها ويغيرها وبطل بهذا وجوب نسبة شيء من

---

(١) لعل الاولى فنشاهد ·

ذلك الى حركات الفلك او الى ماينسب اليه لان اختلال دقيقة منها يوجب اختلال الجميع . فان قالوا فقد رويتم ان الله لما خلق آدم استخرج منه نسم بنيه فقال لهم الست بربكم قالوا بلى ثم اوجدهم فلم يذكروا. قلنا نحن نقول ان الباري هو خالق الخلق وصفاتهم من حركة وسكون وعلم وذهول وما شاء او جد واعاد وما لم يشا اخبر عنه فاما به وهذا لازم لكم ساقط عنا كما بيناه وكذلك معرفة الثواب والعقاب معلوم من جهة الخبر وقد شبب (١) بعض الفلاسفة بانه مدرك بالعقل فى تخليط تكدر (٢) بالقدرية — وهلة -- وقد كان ابو حامد الغزالى يميل الى ذلك ويستطرفه قلت له مامعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف ورايت الجنه فتناولت منها عنقودا فلو اخذته لاكلتم منه مابقيت الدنيا . كيف يكون صفة دوام اكله ووجوده هل كان كلما اكل منه جزء خلفه آخر واذا فنيت حبة ينعت اخرى . فقال وكتب بخطه ثمار الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة والمعني فى الحديث ان ثمار الجنة اذا تعلقت بها آمال الناظرين او قابلتها ابصارهم حدثت امثالها فى نفوسهم حدوث امثال المراي في

---

(١) و (٢) كذا بالاصل

المرءات واعيان المراى لم تتبدل ذواتها ولا رامت مكانها . قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه — تذكرة — ولم تتفق لي مراجعة وهـذا مما لا قول به اعتقادا ولا نرضاه دينا فانه لايشهد له عقل ولم يرد به نقل .
فان قيل فهذا النائم ياكل حتي يشبع قلت له يانائم دعنى مـن النائم ولا تحمل الحقيقة على المجاز ولا ترد النوم الى اليقظة وستتكلم على الرؤيا فى موضعها وقد سبق منا امثالها ولا سيما فى محاسن الانسان (١) ومن اعظم مانسكتهم به ان نقول لهم انا نرى الله فى المنام آدميا اكذلك هو فيبهتوا وهذا امر صحيح وذلك ان الامور المعقولة اما ان تعلم مشاهدة او يهجم عليها العقل بالتفاق او يعلم بالدليل من تمثيل او تنظير وهو لايقول بقياس فى العقليات وان قال به فبمقدمتين تنتجان مطلوبا صحيحا وهذا مما لم يعول فيه الاعلى الدعوى والتمثيل بالمرآة التي لا تقوم على ساق — معادة — وقد بينا ان قولهم الاصلى ان كل شيء من ذاته بالابتداء والانتهاء وبالتفصيل وبتفصيل التفصيل من ابتداء الوجود الى منتهاه بطبيعته كل ذلك دائر عـلى الحركات كائن عنها على جبر وانطباع فيتحرك المتحرك بتوابعه وذلك موجود فى المحرك

(١) خ الاحسان

الاول — عاصمة — قلنا هذا فاسد من ثمانية اوجه الاول ان قولهم ان كل شيء من ذاته يريدون به طبيعة كما صرحوا او غير ذلك فان ارادوا غير ذلك وليس عندهم فليبرزوه وان ارادوا بالطبع فما معناه اذ ليس يرجع الا الى العادة ان هذا وجد بعد هذا فقالوا انه وجد عنه وبه ولا نسلم لهم ذلك ولا يدلون عليه ابدا . وان قالوا به فانا نقول لهم ان كان يفعل شيئا بطبعه فمع الاتصال فهو المشاهد واما مع الانفصال فدعوي لا تثبت ابدا . من حرك الثاني للاول وليس متصلا وهكذا الى اخر الصفقة حتى اضطروا الى ان يقولوا انه يتحرك الثاني بعشقه للاول فيحكيه . قلنا له فاذا عشقه فمن الفاعل ومن المفعول ومن الواطئي ومن الموطوء والعشق هو معني تطلع النفس الى اللذة وليس من شرطها تساوي الافعال بل ربما كان الاختلاف فيها شرطا فانظروا الى هذا الخباط الذي يذكر في معنى بيان الحقائق والادلة الثالث ان الفاعل ان كان يحرك فيحرك الكل وانتظم التدبير بالحركة فمن اين جاء السكون فان قال من قطب الدائرة لم نسلم لهم ان فيها ساكنا ولو سلم فالحركة هى الفاعلة عندهم فما للسكون والدخول فيه وللعول (١)

---

(١) لعله يريد التعويل

على القطب فمن القطب ونحن عندهم اهل القطب فما لنا في حركة دائمة ليس فينا من السكون شيء . الرابع انه ان كان المحرك الاول يفعل بطبيعة فكيف نشا عن الطبع الواحد ربع مختلفة ولا ينشا عن الشيء الا مثله فان اشاروا الى الامتزاج قيل لهم وليس في الاول امتزاج وهو اما يفعل بذاته فمن اين جاء المزاج الخامس ان المحرك الاول ان كان لحركته ابتداء فاندفعت فلم تفرقت الكوائن ولم يكن عنها في حالة واحدة ما يقتضيه الطبع وتوجبه الهيئة والتدبير في فعل تركب عليه افعال ، فان كان فعله على الترتيب فلم كان مختلفا كما تقدم . ومن اين جاء التعارض والتمانع والتضاد بين الكوائن والاصل واحد . السادس . ويرجع الى الاول اذا كانت الحركه صدرت عنها الحركات فلم افترقت في الافلاك الى مستقلة واجعة الى مستقيمة ومعوجه ، ان كانت هذه الاسماء على الحقيقه فهي خلاف فاعلها وان كانت مجازا لا حقيقة فلم ركبتم عليها الحوادث . السابع . ان الاسلاميين من الفلاسفة قد حكموا عن افلاطن وارسطوطاليس باستحالة الايثار وان صانعا موثرا لا يتصور وهو احد اصول الالحاد الاربعة وهو الاول الان معهم فانا نقول لهم زعمتم ان صدور الاشياء عن ذاته

صدور العلة عن المعلول ـ والدليل القاطع عن استحالة ذلك ان العقل يقضي قطعا ان الصفتين الجائز ورودها على المحل على التعاقب فورود احداهما يستحيل ان يكون بغير سبب يعين احد الجائزين ولا يجوز ان يضاف ذلك الى القدرة لان نسبتهما اليها واحدة وكذلك الحياة والعلم مثلهما (١) فلا بد من سبب معقول يضاف له التخصيص يجده المرء فى نفسه ضرورة ـ وقد ضرب العلماء لذلك مثالا يقطع بصحة ذلك وهو ان رجلا يشتهي اكلا وبين يديه تمرتان متساويتان فى القدر بالحزر والكون وحسن المنظر وحيزهما منه واحد ليلا يتكلف لاحدهما مزيد حركة فيمد يده ويأخذ احداهما فيعلم قطعا انه لم يأخذ بحياته ولا بعلمه ولا بقدرته فان النسبة لذلك واحدة قطعا فلم يبق الا الاحالة باحدهما على سبب معقول شانه تمييز الشيء من مثله . وقد سماه العلماء ارادة وجرى في السنتهم وتابعتموهم انتم عليه وان لم تبينوا حقيقة (٢) ومن انكر هذا سقطت مكالمته ـ ولم يوضع هذا كله لمخذول متحامق ؛ وانما وضع لمستبصر مسترشد ينظر فيه نظر المتثبت لنفسه . وهذا السبب يصحبه سبب شانه كشف الحقائق

---

(١) اعله مثلها (٢) عله حقيقته

والاطلاع عليها وليس من شانه ان يتقدم عليها ويستحيل ان يتاخر عنها ، يقومان بمحل قامت به صفة هى الحياة بها صلح المحل لتقوم به الصفات وهم لا ينكرونها بيد انهم يخلطون فيها فعندهم من جهة ان الافلاك حية وعندهم من جهة اخرى ان الحياة لا تقوم الا بمحل فيه بلة ورطوبة ؛ وطائفة اخرى تزعم ان العلم والايجاد لا يفتقر الى الحياة وهم لا يبالون بذلك كله و' ا ياخذون السبيل الى الالحاد كيف اطردت لهم ، والعمدة فى ذلك ان يقال اجمع العقلاء على ان الميت لا يعقل لمواتيته وقد كان يعقل فى حال حياته ولا يصح ان يضاف ذلك الى شرط سوى الحياة لان كل صفة نضيفها اليه يستحيل ان نضيفها الى الميت فكل صفة نذكرها هى مساوية لهذه فى اشتراط وجود الحياة لها ، واما دعواهم ان الافلاك حية فلا يقام عليه دليل ابدا وهو غير مشاهد وليس لهم الا حركتها وليس من شرط الحركة الحياة فان الميت يتحرك والخطب معهم طويل بتخليطهم لمن لا يعلم تفاصيل الكلام ومن يعلمه يقطعهم فى الحال وقد اندرج الوجه الثامن فى هذا الكلام ـ عاصمة ـ واعظم الخطب انكارهم العلم اصلا وهم لا يحتاجون اليه بزعمهم فان ما يصدر بالطبع لا بالوضع

لا يفتقر الى قدرة ولا الى علم والقول فى القدرة اقرب منه فى العلم لان الا فه (١) فى العجز معقولة مشاهدة والعلم وان كان اظهر فهو خفى عن المشاهدة ولكن اتقانه المتعلق بـه يظهره قطعا وهذه الصفات الاربعة ثابتـة للصانـع قطعا وهى القدرة والعلم والارادة والحياة . ومنهم من يقر بالعلم لكن يدعون انـه على وجوه منهم من يقول انه حادث ويفتقر الى علم يحدث به ولا موجود محدث اقوى احتياجا الي العلم من العلم ، ومنهم من يقول انه عالم بالجمل لا بالتفصيل لانه عندهم احدث الاصول بعلم ثم رتب عليه الحوادث المتعلق بعضها ببعض الكائن بعضها عن بعض فلا يخلقها ولا يعلمها ، — قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه ـ وهذا من العجب ولولا انه علمها على التفصيل ما خلق لها من يعلمها على التفصيل ويوجدها على الاحكام والترتيب فاذا اقروا بذلك فقد اقروا بانه يعلمها على التفصيل ، وانما العجب كل العجب من كلمات صدرت عن الامـام ابى المعالي فادحة تحوم او تشف على ان علم الباري لا يتعلق بالمعلومات على التفصيل ونصها : قال « اذا تعلق علم الباري بجواهر لا تتناهى فمعنى تعلقه بها استرساله عليها من غير فرض تفصيل الاحاد

---

(١) خ من

مع نفى النهاية فان ما يحيل دخول ما لا يتناهى في الوجود يحيل
وقوع تقديرات غير متناهية فى العلم فان قالوا ان الباري تعالى عالم
بما لا ينتهى على التفصيل سفهنا عقولهم » وقد بسطنا القول على هذا
الكلام فى كتاب التمحيص بما فيه بلاغ فلينظر هنالك بمقدماته
ولواحقه ، والمقدار الذي يعرفك الان بكنهه ويعطيك فائدة ما
سطرناه هنالك منه على الاختصار ايراد بعض ما استطر هنالك من
الفصول بلفظه الذي وقع الاملاء به ، اعلموا وفقكم الله ان المعلومات
من جهة الكون تنقسم الى واجب وجائز ومستحيل والواجب على
قسمين واجب مطلق وهو الله وحده وصفاته وواجب من وجه وهو
ما خلقه الله تعالي من اصول العالم كالجواهر والاجسام والاعراض
فهذه مما يجب كونها على هذه الصفة فلا يتصور خروج الجوهر عن
كونه جوهرا ولا العرض عن كونه عرضا ولا خروج الجسم عن
كونه جسما ومن اصول هذه الاصول ان الجوهر لا يخلو عن عرض
وان العرض لا يصح وجوده دون ما يقوم به من جوهر او جسم
وهذا كله متفق عليه بين العقلاء ومعلوم عندهم قطعا قبل النظر ومنه
ما هو معلوم بنظر ويتركب عليه وجود الاكوان والالوان بالجواهر

والاجسام على البدل والانفراد حسب نسبة كل واحد منهما الى الآخر من ضد او خلاف ويتركب عليه بعد ذلك النظر فى احكام جميعه بالنسبة الى نسب نشأت عنه والى كيفية هى عليه والى تركيب في وجود او عدم او صفة فناء او بقاء او الى حال تركيب واستحالة يكون بعده نظر في انحصار الاعراض الى الالوان واكوان وانحصار الاكوان الى حركة وسكون وانحصار الالوان الى احمر واسود وما بينهما من واسطة ترجع اليهما او تتقف بينهما ، واعظم من ذلك — القول فى انحصار العالم الى الموجودات على ترتيبها وتدبيرها ما بين وجود وعدم وبقاء وفناء وتكليف واعفاء وتعجيل وامهال ودنيا وآخرة وثواب وعقاب فى عموم ذلك ، ومن هذا المتقدم اصل متفق عليه بين منزلتي النفي والاثبات والوجودوالعدم والحركه والسكون فرعا (١) عليه ، ومنه متفق عليه بين اهل الملل ومنه متفق عليه بين اهل السنة ، ومن جملة المتفق عليه مما تقدم ان الجوهر لا يخلو عن حركة او سكون وعجبا لبعض علمائنا فانه استدل عليه . ولئن احتاج الى دليل لم يثبت لنا شيء من بعده ؛ ومن

---

(١) كذا بالاصل

المختلف فيه القول في وجود لون خلاف ما شاهدناه فمن قائل ان الالوان منحصرة ومن قائل انها غير منحصرة ومن واقف ، وفي حديث المعراج حتى بلغت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي ، وقد تكلمنا عليه في شرح الحديث ، ومسئلة الانحصار هذه مسالة مشكلة فان العلم الذي به ادرك المرء انقسام الموجودات الى جواهر واعراض به ادرك ان موجودا ليس بجوهر ولا عرض ولا نعلمه وان جهات المخلوق ستة لا سابع لها وان الكون من حركة وسكون لا ثالث لهما وان السواد والحمرة لا غاية وراءها وان كان بينهما وسائط وان العلم لا تعلق له بالعدم المحض وانما يتعلق بمعدوم مقدر فان قدرت عالما آخر وامكننا فهمه فقدر موجود الیس بجوهر ولا ولا عرض وكونا ليس بحركة ولا سكون ولونا ليس بحمرة ولا سواد وجهة سابعة لمخاوق فان وجب ان ينحصر ذلك في المعلوم فلا تسال عما وراءه بنفي او اثبات وقد بسطناه في موضعه . قال القاضي ابو بكر قال ابن الجويني والدليل على انها منحصرة انها لو كانت غير منحصرة لتعلق العلم بها باحاد لا تتناهى على التفصيل وذلك محال. قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه هذا كلام محذوف لان قوله

لو كانت غير منحصرة مقدمة واحدة لا تنتج شيئا باتفاق من العقلاء فلا يصح ان يرتب عليها قوله لتعلق العلم بها باحاد لا تتناهى على التفصيل حتى يقول هي منحصرة ولا بد ان تكون معلومة ذات الحكم على المجهول بحصره او عدمه محال : واذا كانت معلومة فلا بد ان يتعلق بها العلم على التفصيل والتفصيل هو الحصر فئال نفي الحصر الى اثباته فبطل في نفسه وهذا هو برهان الخلف . قال ابن الجويني فان قالت الجهلة الباري عالم بما لا ينتهى على التفصيل سفهنا عقولهم . قال القاضي ابو بكر رضي الله يريد ان التفصيل كما قدمنا يقتضي الحصر والنهاية فكيف يضاف اليه ما لا يقتضي النهاية والحصر فان كان للتفصيل عند احد معنى غير الحصر والتناهى فليركب عليه ما يليق به . وقد قدمنا ان لفظ الجملة والتفصيل ليس شرعيا . قال ابن الجويني اذا تعلق علم الله بجواهر لا تتناهى فمعنى تعلقه بها استرساله عليها في غير فرض تفصيل الاحاد مع نفي النهاية فان ما يحيل دخول مالا يتناهى في الوجود يحيل وقوع تقديرات غير متناهية في العلم قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه اما قول الجوني (١)

(١) كذا بالاصل

ايضا(١) وان قالوا ان الباري عالم بما لا يتناهى على التفصيل سفهنا عقولهم فهو عبارة عن انه(٢) كلام متناقض غير معقول لما بينا من ان التفصيل عنده يقتضي الحصر وما لا يتناهى ينفيه فتناقضا والجمع بينهما في الاخبار سفه في العقل . وكذلك كل من جمع بين متناقضين ولذلك سفهنا عقل ابي هاشم وسلبناه دينه في تصويره عن الجملة الجامعة بين المتناقضين : قول القائل محمد ومسيلمة صادقان او كاذبان فانه لا يصح الاخبار عنه بكل واحد من الخبرين لانه جمع في المخبر عنه بين متناقضين كما لو قلت الانسان والحجر حيوانان ام(٣) مواتان . واما قوله ان ما يحيل دخول ما لا يتناهى في الوجود يحيل وقوع تقديرات غير متناهية في العلم فانه كلام ناقص ايضا مفتقر الى تتميم وحينئذ يصلح للتعلم والتعليم فانه كلام ناقص لان قوله ما يحيل دخول ما لا يتناهى في الوجود يعني به في زمان متناه والا فدوران الافلاك عند الفلاسفة لا نهاية لها ونعيم الجنة عند الموحدين لا نهاية له وكل واحد منهما يوجد متماديا عند من يرى الاول على الحقيقة من (٤) الثاني ولكن ذلك كله انما يحال الوجود فيه على ازمنه الآتية

---

(١) كذا بالاصل (٢) لعل قوله «عبارة عن انه» زائدة (٣) لعله او (٤) او في

فيكون لكل موجودزمانه . وقوله يحيل وقوع تقديرات غير متناهية في العلم يعني بقوله وقوع وجود وقوله تقديرات يريد تصوير وجودات غير متناهية يعني في زمان متناه وذلك مما لا يتعلق به علم لانه لا يتصور له ثبات .تعلق علم بها على التفصيل مع نفي النهاية محال لانه يريد بالتفصيل الحصر والانتهاء ثم قال هذه الاجناس المختلفة التي فيها الكلام يستحيل استرسال العلم عليها لتباينها بالخواص وهذا كلام معلوم مفهوم وقوله تعلق العلم بها مع النهاية محال مبنى على اصله في ان التفصيل هو الحصر والانتهاء قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه (١) من هذا كله ان هذه الالفاظ من الجملة والتفصيل والحصر الفاظ مولدة ركبت عليها المبتدعه علومها وخاض فيها علماؤنا معهم ولكل واحد فيها اصطلاح تركيب معنا على (٢) اصطلح عليه فيها ويختلف الاثنان في الوجه المصطلح عليه فيتباديان ويتعارضان ونحن اذا تكلمنا على ذلك قلنا دعونا من العبارات المحدثة الفاسدة البارى تعالى عالم بعلم لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء يعلم ما كان وما يكون ولا يقدر شيء الا وهو

---

(١) هنا كلمة معناها تحصل (٢) لعل لفظة ما سقطت هنا

عالم به نعم وقد كتبه فهذا عقد صحيح مدلول عليه فان قلتم على
التفصيل يعلم او على الجملة قلنا لاندرك ماتريدون فان اردتم بقولكم
على التفصيل انه لايخفى عليه شيء فذلك صحيح وان اردتم بالجملة انه
يعلم شيئا ويخفى عليه اخر فلا يصح لان الدليل قد قام على انه
لايخفى عليه شيء فانما يتكلم معكم في عموم علمه وخصوصه والجملة
والتفصيل عبارات باردة لانلتفت لكم اليها ولا نبني عليها حكما ولا
نصف الباري بشيء منها لانفيا ولا اثباتا وانما نصفه بما وصف به نفسه
ودل الدليل عليه من سعة علمه وتقدس ذاته وصفاته وانه لايخفى عليه
شيء كان اولم يكن تقدم او تاخر فعلى هذا عولوا ودعوا بنيات
الطرق والالفاظ المحدثة وخذوا ذات اليمين وهو ماكان عليه السلف
المتقدمون من الصحابة والتابعين وقد بينا ذلك كله في كتب الاصول
وهذه اشارة الى جملة نكتة عاصمة لكم في هذا الباب قاصمة لظهورهم
وذلك انا نقول ان الفلاسفة على قسمين منهم من يقول ان الباري
لايعلم الا نفسه ومنهم من يقول يعلم غيره ويلزمهم ان يقولوا انه
لايعلم شيئا وقد رايت منهم من يقوله فاما من يقول انه يعلم نفسه ولا
يعلم غيره فيقال لهم قولكم انه لايعلم غيره ماتعنون به اتريدون

لاستحالة ذلك فهو باطل او لانه لم يتفق فان كان لايعلم غيره لاستحالة
ذلك فهو باطل قطعا لان من يعلم نفسه يعلم غيره وان كان لانه لم
يتفق ذلك فالذي يوجبه ذلك للعبد عدم ارتباط كل واحد منهما بصاحبه
والموجودات كلها مرتبطة بالاول فكيف يعلم منها واحدا دون غيره
هذا محال قطعا وان قالوا انه لايعلم شيئا فذلك من افسد دعوى فانها
اذا كانت عنه او بعضها فكيف يكون عنه ومنه وبه او منه او به او
عنه وهو لايعلم ذلك وتصوره غير معقول وان قالوا انه يعلمها جملة ولا
يعلمها تفصيلا قلنا ان كان لا يعلمها تفصيلا فلايعلمها ايضا جملة لان كل جملة لها
تفصيل يكون عنها مرتبا او فيها محكما او بها مولدا فكيف كانت عنه كذلك
ولا يعلم بها كيف كان عنه مالم يعلم به على وجهه هذا لايتصور فان
قيل للاحاطة بها على التفصيل وهي لا تتناهى ولا يمكن تحصيلها
قلنا هذا الكلام باطلاقه تلبيس لانه يقال لهم قولكم لا يمكن تحصيلها
لمن آللذي كانت عنه او لغيره فان قلتم لغيره قلنا صدقتم فان الانسان
لايدرك الاشياء كلها على التفصيل انه ليس شيء منها عنه وانما يعلم
منها ماعلم وكانت عنه فمن ضرورة العالم ان يعلمها مايكون عنه
ولايستعظم علم ما لا يتناهى كما لايستعظم وجوده وقدر الوجود مقرونا

العلم وقدره من غير تعلم و بغير آفة نظرا عليه و بغير عدم يلحقه
او يسبقه ولم يجد له نظيرا فلم يلق منك نكير او الانسان على قصوره
يعلم ما كان و ما هو فيه و ما يكون باطراد العادة لكنى (١) اخبر
الصادق انها تكون لا تتغير وهو لم يجد ذلك ولا كان عنه فقدر
في الخالق المكون قل بواسطة او بغير واسطة علم ذلك كله على
الكمال و القوم في قصور من المعرفة عظيم وتخليط كثير وقد
فاوضتهم في الاقطار والامصار بنفسي وحضرت ذلك في مجالس
الايمة والجهابذة بالشام والعراق فما اثبت الله لهم قدما ولا رفع لهم قط
علما ولم يتكلموا على تقية الا بغاية الحية وقوة الاعتقاد والنية والله
يعيذنا من حالهم ويريهم وبال امر مآلهم بعزته قال القاضي ابو بكر
رضى الله عنه وقد تقدم من ذكرنا لقولهم فى المفردات والبسايط
اشارة انبهكم فيها على نكتة فاوضت فيها عضما ء هم فاضطررت
اكثرهم فى النظر الى ان يقولوا ان البسيط المطلق لا يتحقق الا
فى القول وذلك انى قلت له الاسطقصات التي كان ينبغي ان
يسكتوا عنها ما هى فذكرها قلت له الماء بسيط او مركب

---

(١) عبارة ممحوة بالاصل لعلها التى

فذكر وقدر وعلمها الزمته فقال مركب قلت له من الرطوبة
والبرودة قال نعم قلت فالرطب المطلق مجردا والبارد المطلق مجردا
لا ينضاف اليهما شيء ماهو وحينئذ يتحقق لك البسيط قال لي ذلك يكون
فى العدم قلت له الله اكبر العدم ليست له ذات تخبر عنها بما يعقل
فيها وكذلك لو وضعت يدك معه في الافلاك فلكا فلكا اضطرتهم
الادلة الى ان يقولوا ان احاد جميعها بسط في العدم فزحل
الاهيم الاعظم بارد يابس فقد كان كل واحد منهما بسيطا فمن جمع
فيه الضدين ومن ركب المتناقضين فيالله وللعقول التي ذهبت في تضليل
قال القاضي ابو بكر رضى الله عنه واما النظر معهم فى الايالة العائدة
لمصلحة العالم الخاص من البدن والعالم العام الخلق فهو قانون علقوه
من الشرائع السالفة مبدلا ورتبوه مشحونا سخافة وخللا اذا قرات
لهم منه مسطورا رايته متهافتا منكورا اخبرني الفقيه الطرطوشي
اخبرني الباجي انه كان يوما في باجة احمد بن هود ينتظر اذنه
فجالسه ابنه الملقب بالمؤتمن وكان يتفلسف وجاذبه ذيل الحديث فقال
له هل قرات ادب النفس لافلاطن قال له الباجي انما قرات
ادب النفس لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو بكر

رضي الله عنه الذي رايت لا فلاطن زجر النفس وعن الباجي بقوله ادب النفس لمحمد ما تضمنت الشريعة من قرآن وسنة في هداية السنن وايضاح السنن والقوم كما ذكرنا لكم انما رتبوها مشارقة لقوانين الشرائع مركبة على الشهوات واللذات مقرونة بمكارم حسب ما تقتضيه الاهوية وتميل اليه النفوس من غير نظر فى العواقب الصحيحة المفيدة ولو كان على ما زعموا لكان الخلق عبثا ولما كانت الخلقة حكمة بما رتب عليها في الحشر من العاقبة قاصمة ونبعث طائفة كادت الدين وبهرجت على المسلمين وارادت التلفيق بين الفلسفة والملة وحاولت الجمع بين الشرع المنقول وقضيات العقول القاصرة عن غاية الدليل بذواتها وجزمت القول بانه لم يات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بها ولا دار الا حولها ورتب نظامه في سلكها ودار كلامه وعمله عليها وجعلت تتبع ذلك فصلا فصلا حتى عقدت ابوابا في شرح هذه المقاصد ومن اعظم ما انتدب الى ذلك القضاة الاربعة الذين لقبوا انفسهم اخوان الصفا فجمعوا الخمسين رسالة في كل علم رسالة ولم يبقوا من رسوم الاسلام اصلا الا عقدوا فيه فصلا وكانوا في علومهم مقدمين وعلى

الفصاحة مقتدرين و يدرك المدرك عارفين و بالدولة معتضدين ومن تمكن من تصريف لسانه وبنانه لا ينبغي ان يستغرب ما جاء من بيانه فكم قائل من الحكماء

في فمي ماء وهل ينـ ❀ ـطق من في فيه ماء

وانما يقصر (١) بالقلوب الاسمعية (٢) والالسنة اللوذعية والنفوس الاحوذية فاروها (٣) من انتقاد الحساد وتشنيع الاعادي (٤) فترى العالم صامتا وما به عى ، متماوتا وانه لحي ، ولما تمكنت هذه الطائفة كما قلنا لم يبق من الحكم النبوية والاغراض الفلسفية بالادلة الجليلة والاشارات بعبارات غلاة الصوفية الا وقد رصت عليها بلية ودست فيها بلايا نوع (٥) بلية فاذا قرأها من ليس من اهلها هلك بها واذا قرأها عالم جردها عن فسادها واقاما من مايدها وعدلها عن حايدها وردها الى مالكها وواجدها عاصمة قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه ان الله تعالى وله الحمد انزل كتابه على نبيه نورا محكما هدى تبيانا لم يكن رموزا ولا كناية عمالا يتوصل به اليه

---

(١) هذا اقرب ما يظهر (٢) لعله الاصمعية (٣) لعله ما رواها اى ما كثر عليها (٤) خ الآحاد (٥) كذا بالاصل

سامعه ولا يعليه مخاطبه واقام عشرة اعوام او ثلاثة عشر عاما اوخمسة عشر عاما يجادل بالحجة جميع الكفرة بالآت من آي القرآن حسب ما بيناه في انوار الفجر فما بقي نوع من الادلة ولا وجه من وجوه الحجج الا وجاء بها على اوضح منهج وتناولت كل حجة طائفة من الملحدة واصحاب الطبايع والصابئة بقدرها واليهود والنصارى والزايغين بقسطها على نحو ما قالت كل طائفة من الشرك ولو شاء ربنا لكفهم عن هذه المقالات واذ اطلقها على السنتهم فقد نص كيف تنقض اقوالهم حسب ما تقرر من الادلة ومن كيفية استعمالها في كتابه وعلى لسان رسوله وذلك كله بسابقة من المشيئة ووجوه من الحكمة ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم فابان انه خلقهم للاختلاف وليرحم من شاء منهم فيخلصه عن شائبة الخلاف ، وما استاثر الله رسوله صلى الله عليه وسلم الا والدليل قد اتسق ، والدين بالعلم قد استوسق . والحرس مبثوث على جوانب الملة لا يستطيع اخذ خرقتها لا في السماء يسلم ولا في الارض ينفق وان (١) اشتجر الخلق اشتجار اطباق الراس عقائد واعمالا ، وتفرقوا تعصبا واختلالا ، فحدثت البدع

(١) لعله واذ . والعامل فيه هو خلع

لعناقها ، واطلقت المبطلات السنتها ، وكانت الامة على حاميتها والولاية على حمايتها .
خلع العذار الخلق في المعاصي واخذوا في طرف من البدعة . فلما جاء الوعد الصدق
بان الدين بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدا ولج في الدين لصوص من غير بابه
وتعلقوا باهابه ومشوا له الضرا واسروا احسوا في ارتقا وخاطبك كل واحد
منهم بلسان القرابة وهو من البعدا وعاملك بالخلة وهو
من الاعدا ، واتاك بالداء فى صفة الدوا ، ولم يخل الله قط امته ، ولا ضيع
شريعته ، عن ذاب عن حرمها و حامل على مستقيمها ، كما اخبرنا ابو محمد جعفر
بن احمد بن الحسين بالمعلق من مدينة السلام تجاه دار الخلافة ثنا ابو بكر
احمد بن علي الحافظي ثنا ابو بكر احمد بن عمر (١) ثنا جعفر بن محمد بن نصير
الخلدي نا خلف بن عمرو العسكري نا سعيد بن منصور نا عبد الرحمن بن
زياد نا شعبة عن معاوية بن قرة عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا
يزال ناس من امتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة ، قال القاضي
ابو بكر رضي الله عنه وبعد هذا فليس يخفي على ذي لب ان العقل والشرع
صنوين — مرتبة الشرع من العقل — وقد قال بعضهم ان العقل مزكى الشرع
ولا يصح ان ياتي الشاهد بتجريح المزكى ولا بتكذيبه فان ذلك ابطال له .

---

(١) هنا محو اقرب ما يظهر منه لفظ الدلال .

والحقيقة ان العقول على ثلاثة اقسام واجب وجائز ومستحيل فاما الواجب والمستحيل فلا يتعرض الشرع الى بيان حقيقتهما واما قسم الجواز فان الشرع هو الذي يتصرف فيه بان يعين احدهما لانه هو الذي اوعز به عالم الغيب والشهادة اما انه يذكر الواجب والمستحيل في معرض الادلة اذا كانا نظريين ويذكرهما اذا كانا ضروريين تبيد (١) لتوطيد القسمين النظريين عليهما واذا لم يتناقضا لن يتنافيا فعلى اي وجه يجمع بينهما . اما انه جاءت ظواهر ضعفت بعض قدر الخلق عنها فوجد السبيل من كان له حرص على الزيغ عن الشريعة بها عاصمة وقد نزل القرآن بها وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وابلغ رسالة ربه فيها فلو كان عند من تقدم من السلف الصالح والطالح والكريم واللئيم والمؤمن والكافر منهم اجمعين من يشك فيها او يرى اشكالها لما وقف مومن في شك ، ولا سكت كافر عن طعن ، ولبادر الى الاعتراض مع ما كان في نفسه من عداوة الشرك . بل سلم جميعهم تسليم العالم بها على حالته في (٢) كفر او ايمان . وما اعترض كافر على الرسول الا في احاد يسيرة من الالفاظ لم يكن من باب الاخبار عن الله ولو كان عندهم فيها شبهة او للملحد بها متعلق لقام صاحبها يشدو بها ويشهرها ، او لصاحب طبيعة لقال انت تنسب الكل الى الله وهو قد رد الكل الى الطبيعة

---

(١) كذا بالاصل ولعل الاصل الحقيقي تمهيدا (٢) او من

واحال على الاسباب والمسببات وربط الحوادث بحركات الافلاك ، او ليهودي او لنصرانى لتبادروا من قريب وتناوشوا من بعيد متالبين عليه في كلامه . وقد جاءوه من الاطراف القاصية فناظرهم به . او لصاحب صنم لثاروا اليه يقولون له ربك بعين ويد ورجل وكف واصبع وساعد وجنب وياتي ويجيء ويضحك ويطا برجله ويمشي ويهرول وينزل ويحاضر ويمل مع من يمل ويعطي بيدين وآدم مخلوق على صورته باطنه بباطنه وظاهره بظاهره ، فما يتكر من عبادة من تكتنفه الافات . وياخذ كل واحد منهم في طريقه على مذهبه ويجادلوه بذلك كله او يدعيه كل واحد الى نفسه . ولكنهم علموا خلافه لهم اجمعين في المقاصد ، ومباينته لهم في الموارد ، رادا على جميعهم ، وانه لم ياتهم بمبهم ولا كلمهم بتخليط ومحال وان معجزته ظاهرة ودليله على صدقه بين فلجوا الى الحرب والاحتماء بالطعن والضرب والانحياز الى دار غير داره او تمسك كل واحد ببلاده ، والاسلام يعلو ولا يعلى وكلمة الله لا بد ان تبلغ المنتهى . فلما درست الملة ونقصت الشريعة صارت هذه الطوائف عليه عزين ما بين مدعين وطاعنين وملبسين . ومنهم من ياتي بهيئة الناصر ومذهبه التخذيل ، ويتندب هاديا ومقصده التضليل . والحق قليل . ولم يات (١) احد فى كتاب الله ولا حديث النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة

---

(١) خ يلق

يردها العقل نعم ولا يخالفه في شق الا بلمة حتى يفتقر الى التمييز بينهما والفصل لجر[ي] اختلافهما . فابت هذه الطائفة الركيكة الا ان يكون (١) بينهما النزاع وتنزل بزعمها في الفصل بينهما منزلة الانتفاع وهى لا تالوا في ذين . — قاصمة — وهي قاعدة قائمة . وليس الامر كما زعموا والحمد لله وسترى ذلك فى اثناء الكلام عيا[نا] وتحققه برهانا ان شاء الله . ومنهم من حملته القحة وعظيم التهتك مع التمكن من الهزء واللعب على التغلغل في الباطن فقالت ان نزول القرآن ليس على وضع تاويله تنزيله ، بل وراءه بحار علوم وكنايات عن اعراض كما قدمنا عنهم فيقولون ان البقرة لها معنى غير ما ظاهر (٢) من التنزيل وان العجل له معنى ايضا خلاف تنزيله اذ لا يصح ان يكون على تنزيله فان احدا من اصحاب موسى ما كان ليتخذ العجل المصاغ من الفضة الاها من دون الله يخور بحليه وجوهره اذ لا يخفى ذلك على من له ادنى مسكة من نظر ولذلك وجب ان يحال على معنى يمكن ان يقع فيه الاشتباه ويحصل معه الاشكال فيرتبك فيه من يرتبك به . وهذا مما فاوضتهم في انحائه مرارا ، ووجه الرد عليهم مشاهد ، فان جد هذا المعترض لي والمتكلم معنا كان يعبد حجرا ياتي به من الطريق . كما قال ابو رجا العطاردي في صحيح

---

(١) يوجد في الاصل بين لفظة يكون ولفظة النزاع هذه الجملة : تبرز فهما ولم يظهر لها معنى (٢) خ يظهر

البخاري قال كنا نعبد حجرا فاذا وجدنا حجرا هو خير منه القيناه واخذنا الآخر فاذا لم نجد حجرا جمعنا حثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم صفنا به فاذا دخل شهر رجب قلعنا منصل الاسنة فلا ندع رمحا فيه حديدة ولا سهما فيه حديدة الا نزعناه والقيناه . وكان يقول كنت يوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما ارعى الابل على اهلي فلما سمعنا بخروجه فررنا الى النار الى مسيلمة الكذاب وقد وقف على ذلك بعض الصحابة فاعتذر بانها كانت عقولا كادها باريها وليس عبادتهم العجل وقلبهم له الاها باغرب من قولكم انتم ما نزل الله قرآنا ، الى ما تدعونه علما وبيانا . ولولا انكم لا تحتملون ما اذكره عنهم ، ولا ينبغي ان يهاج به اهل هذه الاقطار لانهم لم يسمعوه لذكرت لكم من ذلك غريبا تفنون الدهر منه عجبا . وجملته انهم لا يذكرون في تاويل آي من القرآن ولا حديث عن الرسول معنى يرده الى غرضه الا قلبه (١) له في معنى آخر . حتى ان من اراد من الباطنية ان يرد جميع القرآن في علي فيرده الى العباس العباسية ويرده الى ابي بكر البكرية والى عثمان العثمانية ومن اراد من الاخوانية (٢) ان يرد الآيات والآثار الى افعال الكواكب وتاثيراتها وان ذلك عبارة عنها وردت

---

(١) قلبه اي غيره من الفرق المذكورة بعد (٢) اي اخوان الصفا

به الى غير ذلك (١) فان قال المبتدع او الملحد قد صح لي غرضى من ان الشرع لاتحصيل فيه. قلنا له لايخلو ان تتشرع به (٢) وتقبله فما تدعى فيه نبطله عليك حتى اذا انتفيت منه وقلت ليس بشيء رجعت صاغرا بالدليل الى قيد آخر من النظر يفيدك بانه حق وهكذا هى حقيقة الملة: من اراد ان يدخل فيها داخله رد عنها اليها بادلتها في غرائب من النظر كاها قرءانية سنية حسب مابينها الله فى كتابه لاوليائه وحاج بها عن نفسه على احد ه. وفى اثناء هذه العواصم سترون دستور ذلك وتتبينونه اذا لحظتموه بقلب شاهد. ونظر جاهد. والله اعلم — استدراج — ان المطرب عليه ينقسم الى معدوم وموجود وفى ذلك كلام طويل بيننا وبينهم ولكننا نبني معهم على انا قد وقفنا هاهنا فنقول الكلام معكم على وجهين احدهما بما يعترض فى اثناء النظر وترديد القول وقد قدمنا منه جزءا مما جرى بيننا وبينهم على صفته. من مجازه وحقيقته. الثاني ان نتكلم معهم بلغة حبرهم الاول صاحب الطاء والفاء ومن عبر عنه

---

(١) الجواب محذوف تقديره رد (٢) المقابل محذوف تقديره او لا تتشرع به فنناظرك في اصل الملة.

من سين اوراء (١) فنقول لا خلاف ان الوجود ينقسم الى واحد والى كثير والواحد الذي لا كثرة فيه هو ذات الباري فانه لا ينقسم بالعقل ولا يقبله فهو واحد بالامكان وبالوجود والقوة والفعل ولهذا لم يقبل لواحق الكثرة من الغيرية والتخالف والتقابل ونحوه من التساوي والتشابه ونحوه من التساوي والتماثل وعدم التناهي بكل وجه ووجوب الوجود له ولا زم فيه باتفاق التقدم لا بالزمان . ويبقي النظر بيننا وبينهم في بقية مراتب التقدم الاربعة وهو الشرف والطبع والذات الذي ينقسم الى قسمين احدهما ان يكون به اولى به . نعم وهل يقال فيه انه موجود بالقوة فيه نظر طويل وهذا كله لا يوصل اليه الا بنظر طويل وتفصيل لا نتابي (٢) عنه الا ان آلت الحال معهم الى الامكان على موافقة المطلوب لكن يبقى النظر الاعظم في ان حقيقة موجود بلا ماهية لا يقبل الكثرة كذا كذا كما ساقوه يصح ام لا فانكم اذا قلتم علمنا الله قيل لكم موجود بلا ولا ولا كما وصفتم علم بم ذا ولا بد لكم ان تعلقوه بمفهوم تطمئن به العقول، ويدخل في سلك العلوم وليس لهم عن هذا جواب ينفع (٣)

---

(١) هل يريد بالطاء والفاء افلاطون . وبالسين والراء ارسطو ؟ تامل (٢) هذا لقرب ما ظهر من المحو (٣) بين بهذا الفصل ان طريقة الفلاسفة لا توصل الى معرفة الله

والا فهذا كلامى وانا حي او ميت فاحشروه وانشروه ، ففي قوة كلما اوردت عليكم معشر الموحدين يبطلوه (١) بيد انا نحن نقصد الله الذي اتانا على لسان رسوله من العلم المبثوث بركته . نقول من اراد ان يعلم الله فسبيل ذلك لا محة وهو ان تحقق انه ليس مثلك ، فكلما (٢) علمت نفسك عليها وقدرتها فليس هو عليها . فان قلت فهذا نفي محض قلنا هو نفي لمثلك ، وليس نفيا لصانعك وموجدك . لانه قد ثبت بك ومعك ومنك . وانظروا رحمكم الله ان النبي كيف انبأ عنه بان طريق معرفته افعاله فاما هو سبحانه فلا يستطيعه احد . قد قال النبي صلى الله عليه وسلم انت كما اثنيت على نفسك . معناه لا اقدر على صفتك الا بما علمتني من صفة نفسك . فان اردت ان تنكره لم تقدر . وان اردت ان تمثله لم تستطع فان اردت دركه كما وصف نفسه ودل عليه فعله امكنك . وهذه ثلاثة اقسام ضرورية . فانت العالم به حقا على قدرك وهو العالم بنفسه كما ينبغي . واذا اردت الصراط المستقيم المبلغك اليه كما امر من الاستدلال بافعاله عليه فاقرب شيء اليك

---

(١) من قوله ففي قوة الى الرقم كذا بالاصل وتأمل (٢) اي كل صفة

من افعاله انت فمنها فارق اليه ، واخرج في دوح المعارف يقف به عنده بين يديه . فتعلم اذا سلكت هذه السبيل الميثاء انه قد جعل الروح فيك اية عليه فانك اذا اردت انكارها وجودا لم تقدر عليه وان اردت له (١) مثالا لم يمكنك وان اقررت بها لدلالة آثارها عليها اعيت . وتحقيقه ان الفعل لا يصدر الا عن قادر وهو عبارة عمن اذا شاء فعل واذا شاء لم يفعل وانه عالم بنفسه وبكل معلوم اذ انت عالم بنفسك ولم توجدها فضلا عنه وهو عالم بغيره كما تعلم انت غيرك وان توقفت في انه علم واحد او علوم فلا تبال به فانها مسالة نظر والا صح انه واحد وانه مريد لما يفعله اذا الفعل عن الفاعل يصدر طبعا او عن ارادة . والطبع عند طا وصحبه وهما الفا آن والسين هو الفعل المنفك عن العلم بالمعقول : وقد اتفقنا على انه يعلم ويفعل من غير طبع وذلك هو الايثار والقول في العالم قد تقدم . ومن نظرت في غيرك من افعاله فهو من الصراط المستقيم لكنه محتوش بثنيات يخاف على السالك ان يعرج عليها فيتيه بعده . ومن ذلك الغير عقل ونفس وجسم والعقل عندهم جوهر

---

(١) الاولى لها

لا ينقسم ولا يركب ولا يشاهد والنفس تقبل التأثير من العقل وتؤثر في الجسم والجسم يتاثر بالنفس ولا يؤثر والعقل عندهم ينقسم الى بسيط ومركب امكانا عقليا وجودا . والبسيط فى الاكثر عندهم هو الذي له طبيعة واحدة كالهواء والماء . والمركب الذي يجمع طبيعتين كالطين ولا خلاف عندهم فى ان البسيط اصل المركب كالحبر ولا وجود له فى العفص والزاج ومن البسيط مالا يتركب وهو بالعمل ببسائطه ولى فيه معهم كلام . ومن عظم ماينظر فيه الاجسام السماويه فيقولون انها متحركة بالارادة عرض هو شوق الى العلوي للتشبه به لعلاقة بينها وبين الاجسام يسمى عقلا قالوا او ملكا ويدل عليه عدم التناهى فى هذه الحركة اولا وابدا فلا بد لها من الاستمداد من قوة محركة ويستحيل ان يكون فى جسم قوة لا نهاية لها لان له نهاية فلابد من متحرك (١) مجرد عن المود وذلك قسمان كتحرك المعشوق والعاشق وكما يحرك الروح البدن والثقل الجسم الى سفل فالاول مالاجله الحركة والثاني مامنه الحركة والحركة الدورية تفتقر الى فاعل مباشر يكون منه الحركة وذلك لا يكون الا نفسا

---

(١) لعله محرك

متغيرا لان العقل المجرد الذي لا يتغير لا يصدر منه الحركة المغيرة فتكون النفس الفاعل للحركة متناهى القوة لكونه جسمانيا ولكنه يمده موجود ليس بجسم بقوته التي لا تتناهى وتكون عريا عن المادة حتى تكون قوته تخرج عن النهاية ولا يكون فاعلا للحركة فيكون لاجله الحركة من حيث كونه معشوقا لا من كونه مباشرا للحركة ولا يتصور متحرك لا يتحرك بنفسه الا بطريق العشق . فاذا نظروا فى الادراك للاشياء فقال اكثرهم انه لا يكون الا للحس بارادة حسية وحركته (١) خلاف النبات اذ حركته طبع تميز به الحيوان وهى حركة شوقية وحركة اختيارية فالشوقية الى المشتهى والمكروه والارادية هى الحركة فى الاعضاء للتصرف والمدركة نوعان نوع يدرك الصورة المتكونة بانطباعها في الهوى ويستمر الانطباع حتى ينتهى الى رطوبة العين وكذلك السمع وسائر الحواس لهم فيه تخليط . واذا مشوا في ادراك المعقولات دخلوا فى مجهله تيه لا علم لهم بها اصلها عندهم ان الحواس كلها تنقل المتلقى لها الى سالفة الدماغ من قدام وليس للقلب في ذلك اثر وهى ان قبلتها ففى لحظة

---

(١) كذا بالاصل

ليس لها ثبات معها بل تذهب عنها لكن ربما القتها الى قوة في آخر الدماغ تسمى خيالية ثم عندهم قوة اخرى في محل من الدماغ اخر له تركيب يسمى الفكرية ولهم بعدها اخرى وهمية يسمونها الحاكية وهى في الحيوانات كلها . وهذه الكلمات شاركهم فيها الاطباء وبنوا علاجهم عليها — عاصمة — قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه . قولهم ان الذات الواحدة لا تنقسم بالفعل يقال لهم نعم ولا بالقوة فذكرهم الفعل وحده تقصيرا وتلبيس . واما قولهم انه واحد بالامكان فجهل محض ينبغى ان يقولوا انه واحد بالوجوب ، واحد بالوجود لان الامكان ماجاز سواه وهاهنا يمتنع . هذا وقولهم انه واحد بالعقل محال لان العقل لاينظر اليه واما قولهم لم يقبل لواحق الكثرة من الغيرية الى آخر الفصل فهو باطل . بل الباري تعالى غير لخلقه خلاف لهم . وقولهم التقابل فانه يقبله على رايهم وهذا اذا كان معنويا فانه سبحانه لا اول له والخلق له اول ولا يعدم والخلق يعدمون وهكذا يتقابل معهم في صفاة الجلال هى له والكمال (١) والنقص للخلق ولا

---

(١) الكمال معطوف على الجلال . او يكون مبتدا والمعني ان الكمال الثابت للخلق معه النقص ؟

يصح سوى هذا ، واما التقابل بمعنى التوازي فمحال عليه وكذلك التساوي والتشابه والتماثل محال عليه وكذلك عدم التناهى ، وقولهم وجوب الوجود ينقض ماسبق من قولهم امكان الوجود كما بيناه ، واما فصل التقدم فانه بمعنى الشرف واجب للباري ولا يقال ان ذاته قبل الذوات لانه لا يتطرق اليها القبل الزماني ولا قبل الطبع ولا شك في ان كل شيء به ومنه على معنى انه الفاعل له بقدرته ولا اشكال على مذهب الجميع لانه لا يكون موجودا بالقوة واقوى ما فيه عليهم ان من ضرورته خروجه الى الفعل او جواز خروجه له وذلك محال ههنا باتفاق . وثبت ان الانه هو الذي ليس على حال من احوال الموجودات كلها وهذا مالا خلاف فيه بين العقلاء منهم ومنا فيه انهم لا يفون هذا الاصل حقه في التوابع . واما العقل فانه معلوم به لا اشكال فيه عند احد بيد ان الملحدة والشيعة ادخلته سوق الاشتباه فصد الالتباس او جهالة فطرية وطرأ عليه ايضا استعمال العرب اه في تمرته وفائدته في بعض مقدماته فصار لذلك مشكلا على من هو دخيل في لسان العرب وبهذا كله وجدت الملحدة السبيل الى دخلتها . وهل الفلسفة يطلقونه في معان كثيرة منه عملي وهى

قوة تنشأ عنها قوة اخرى منطلقة الى مامن الجزءيات وهذا فيما لا يخلو ان يكون علما اونظرا او ارادة ، ومنها عقل هيولاني وهذا تهويل يعبرون به عن قوة فى النفس صالحة لقبول ماهيات الاشياء مطلقة معداة عن موادها (١) فارق الحامل الصبي والبهيمة وهذا انما يرجع الى علوم مركبة على غيرها فالصبي يعلم والدابة تعلم لكن علما مقصورا والحامل يعلم عليه زيادة . ومنها عندهم عقل فعال وهى القوة التي متى شاء عقلها واحضرها بالفعل وهذا .. عبارة عن تجديد النظر فى الخفي باستخراجه من المعلوم الحاضر مع ..كر له وليس شيء من ذلك اشكال الا من عباراتهم والا فهي علوم كلها مرتبط بعضها بالبعض (٢) ويتركب على البعض وكلها يترتب على العلوم الضرورية وتزيد وتنقص وتنسى وتذكر. وقدبينا فى غير كتاب ان العقل هو العلم بنفسه ، لا زيادة عليه كيفما تصرفت احواله وانبطت لا تختلف فى ذلك . واما اذا ذكروا العقل الفعال فتنتفخ اوداجهم وتغشى وجوههم قترة ويقولون هو كل ماهية مجردة عن المادة ويقولون انه فعال اذ من شانه انه يخرج الفعل الهيولاني من القوة الى الفعل باشراقه

---

(١) هنا محو ولعل الممحو لفظة بها (٢) خ بعضها يرتبط بالبعض

عليه . وهذا كله تركيب فاسد ونسبة فعل الى غير فاعل ولا يصح
ان يكون اخراج ولا ادخال الا في الاجسام وما يستفاد من علم عن
علم لا يقال فيه شيء من ذلك والمادة والصورة هاهنا عبارتان فاسدتان
على حالهما من المجاز . العلم المرتب ليفيد علما مادة وحصوله عنه صورة
والتهويل بهذه الاباطيل لا معنى له . وقد قدمنا القول في البسيط
والمركب ولا فائدة له فى اللغة العربية الا ان بناء ب س ط للاتساع
وبناء ر ك ب للاجتماع المرتب فيصح لهم هذا المعنى فى المركب لغة ولا
يصح لهم ذلك فى البسيط لان معناه عندهم مفرد ينضاف (١) عليه
حتى يصير مركبا . واما قولهم ان نفوس السموت تتحرك بالارادة
والسموت والافلاك فياسبحان الله اكثرهم ينكرون الايثار والارادة
للاول وينسبونها للثاني والثاني اغنى عنها من الاول . واما تفسيرهم
الحركة انها من شوق فذلك خذلان لم يرضه اخوانهم من القدرية ،
وهل ينبعث الشوق الا عن نفس حية رطبة مع بلة وبنية ، فان
ركبوه على غيرها كان ذلك دعوى لا تثبت ابدا ، وما ذكروه
دعوى محال سموها عقلا وزعموا انا نحن نسميها ملكا ، فهذا كذب

(١) ويضاف

علينا ولغو منهم (١) فلم يصيبو في وجه (٢) ذلك ليخرجوا الفاظ الشرع الى اغراضهم الفاسدة . واما قولهم انه يدل عليه عدم التناهي فانه (٣) يدل (٤) على تجويز المحال . اي مناسبة بين عدم التناهي لو ثبت وبين ماادعوه فكيف ولا مناسبة بينهما بحال وهي في نفسها محال على مااصلوه وما جرى في حوارهم هذا فانه هذه الحركات لدورية فان كانت لا اخر لها عندهم فلا بد ان يكون لها اول . فقولهم عدم التناهي اولا وابدا باطل في باطل ، وقولهم لا بد لها من استمداد من قوة محركة لا يصح لان ذلك يؤدي الى طلب ما لا منتهى فيه وذلك محال . فقولهم يستحيل ان يكون قوة لا ينتهي في جسم منه لا باطل فان ذلك انما ينبني على نسبتهم الافعال الى الاجسام وشيء عندنا محال ، لا فعل لله (٥) فيخلق الله قوى لا تتناهى في جسم متناه على التوارد ، وقولهم لا بد من محرك مجرد . واما قولهم لا بد من محرك صحيح . وقولهم مجرد عن المواد . لا ندري ما هو ، ورب

---

(١) هذا اقرب ما ظهر من المحو (٢) هنا محو ولعل المحو لفظة تعلوا او قام او زمان . هذا اقرب ما يظهر من المحو (٥) كذا بالاصل وثم محو خفيف ولعل صوابه لله او لا افعال الا الله .

دريناه لم نفسره لكم ولا معكم ولكنا نقول لابد من محرك لم يتحرك ولا يتحرك وحينئذ يصح ان يكون اصلا للحركات المتحركات واما قولهم ان ذلك كحركة المعشوق . فيا سبحان الله؛ يصعدون الى العلو ثم ينزلون الى الهاوية بخذلانهم اي عشق ههنا . وما يتجرد عن المواد لا يعشق ولا يعشق ، ولا ينزعج ولا يقلق . وقولهم كما يحرك الروح البدن . من افسد شيء عندهم وعندنا ونحن لانسلم ان الروح يحرك البدن ولا يجوز ذلك عندنا عقلا . وافسد منه وابعد قولهم كما يحرك الثقل الجسم فان ذلك لايجوز بحال وليس بشيء من ذلك لاجله . بلى انه قد يكون الشيء من الشيء وبالشيء على معنى بقدرته . والله قد خلق مافى السموت وما فى الارض جميعا صادرا منه بالقدرة والعلم والارادة . كان لبعض ملوك خراسان صاحب ذمى فقال له ان عيسى افضل من نبيكم محمد بشهادة نبيكم له بذلك قال اه الملك واين قال ان محمدا اخبر عن ربه بان عيسى روح الله وكلمة منه فجعله من نفسه ولم يجعل ذلك لمحمد . فأرسل الملك الى بعض خواصه وقال دلنى على عالم خراسان فقال له ما اعلمه الا ابا الطيب سهل بن محمد بن سليمان بن محمد بن سليم الصعلوكي الحنفي تفقه بابيه وحاز رياسة الدنيا والدين .

فارسل اليه واعلمه بذلك فقال لا بد ان يكون جواب هذا السؤال في القرءان ولكن يفرد لي منزل اكون فيه لا يدخل علي فيه احد . ففعل ذلك به فلما كان بعد ثلاث قال اخرجوني فاخرجوه فقال قد قال الله وسخر لكم مافي السموت وما في الارض جميعا منه . فليس ذلك اختصاص لعيسى . وقد رايت راسا من الملحدة كان يجهل بمسئلة من الاعراب على الطلبة وهو ان يقول قوله خلق لكم مافي السموت وما في الارض جميعا منه . على من يعود الهاء فاذا راى من بلغ معه الغاية السابقة قال له ان كل موجود فهو من الوجود (١) الاول • الثاني فاض عنه (٢) فيضان النور من الشمس على سطوح الاجسام بالترتيب المذكور عندهم . وان راى عاميا سلك معه مسلك الحق الذي يعده مسلك العوام، وان راى نبيلا لم يثق به حقق عليه السؤال وشككه في المقام ولم يبرم معه عقدة البيان . ولا هتك له قناع الاشكال قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه قد قال الله سبحانه قل كل من عند الله فاخبر بثلاثة اخبار لثلاثة معان . الاول انه جعل الكل من عنده الثاني قال مافي السموت وما في الارض جميعا منه . الثالث قال في عيسى

---

(١) خ الموجود (٢) خ عليه

بكلمة منه . فالاول عام والثاني خاص والثالث خاص من الخاص .
وقد قيل الاول في العموم قوله هو الذي خلق لكم مافى السموت
وما في الارض جميعا منه والثانى قوله في الفوائد والمصائب قل كل
من عند الله والثالث قوله فى عيسى بكلمة منه . وتحقيق القول فى ذلك
ان حرف من اصله للغاية كما بينا في التمحيص والملجئة ويرد له بلا
عبارات (١) . قد يكون للجنس وللتسبب وللبعضية والثالث محال على
الباري تعالى باتفاق منا ومنهم والاول محال عليه باتفاق من الكل
فلم يبق الا الثانى وذلك جائز فى كل شيء بل واجب ذلك له فيه
وقد حققنا ذلك كله في موضعه بما لبابه - ان الله خلق لنا ماقي
السموت والارض جميعا فالسماء سقف والارض والشمس ضياء والقمر
حساب والماء حياة والنبات والشجر اقوات . فكل له وجه من
الانتفاع لنا بجميع (٢) ذلك هذه صفته على الجملة والتفصيل وكل
ذلك عند اهل السنة من الله لا شريك له فى خلق ذلك ولا في شيء
منه بل كل ذلك خلقه فاخلصوا له العبادة وعاد الضمير الى الله تعالى
مقرونا بحرف من كما قدمنا على معنى التسبب لا لابتداء المبين لا فتتاح

---

(١) لعله بالاعتبارات (٢) او لجميع

الشيء المقتضى للغايه (١). وقد قال قوم يعود على البحر فالصوفية (٢) يقولون يعود الضمير على الله ويكون معناه انه — سبحانه عما يقولون — نبه به على ان ذاته مبدأ لكل شيء ، عنه كان كل شيء على تركيب العلل فالمعلومات (٣) والتوليد والمولدات والنشوء حالا بعد حال فى المنشئات فكانت الوحدة مبدأ للكثرة وقد بينا قولهم فى ذلك واوضحنا سخافته (٤) فيما تقدم وسنكرر ذلك فيما بعد . واما الطبائعية فيقولون ان الهاء تعود على البحر ومعناه عندهم ان الله نبه عليه فقال الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله وسخر لكم ما في السموت وما فى الارض جميعا منه يعني من سحاب ومطر ونبات وشجر . فان المطر يصعد من البحر بتدبيرهم الذي رتبوه ويتصعد من طريق السحاب وينزل بترتيب الى الارض فتقبله ويتولد النبات فيكون هذا من ازدواج الماء والارض فالماء اب والارض ام والبحر معدن والتصعيد كيفيه (٥) من (٦) سخام

(١) هذا بيان لاول السببيه للغايه التي هى اصل معنى من (٢) لعل الاصل الصواب فالفلاسفة . فان ما ذكره هو مذهبهم . والمقام للواو فلعل الاصل والفلاسفة . (٣) لعل الاصل والمعلولات (٤) في نسخة : وفساده (٥) هذا اقرب ما ظهر (٦) في نسخة

لا ترضاه الافهام قد نبهنا على فساد هذا الترتيب كله وحققنا بطلانه وسنكرر ذلك ويتاكد ان شاء الله . فكان هذا البائس سير (١) هذا المعنى (٢) فى هذه الاية ويلطخ بها وجوه الطلبة ولا يصرح لهم بمذهب السنة ليوهمهم ان فى بيانها معنى غريبا ويطوى كشحه على هذه المسكنة . فقد كشفها الله لكم وله الحمد والمنه . فان قيل فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا نشات بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة . وقال الشاعر الجاهلي فى صفة السحاب : شربن بماء البحر . قلنا سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا . اذا جاءنا حديث صحيح كقوله لولا بنو اسرائيل لم يخنز اللحم . وقوله اول من راى الشيب ابراهيم . وامثاله قلتم هذا باطل . فاذا جاء حديث مقطوع ليست له رواية ولا يعرف له صاحب يوافقكم صادمتمونا به ولا تعدوننا [٣] فى حجة [٤] الكم . نحن اعلم بمقاصد رسولنا وكلام نبينا ولغة قومنا منكم معشر اليونانية والمانوية . اما قول الجاهلي فجهل محض واما الحديث فمقطوع السند صحيح المعنى اذن به النبي صلى الله عليه وسلم فى الاستدلال فى العوائد فان من البلاد ما علامة مطره

---

(١) لعل الاصل يسرد (٢) خ هذه المعاني (٣ و ٤) هذا اقرب ما يظهر

نشوء السحاب بخلافه [١] وكل بلد بريحها منها بلاد تمطر بالدبور ومنها بلاد تمطر بالصبا سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا . وصار معنى الاية خلق لنا مافي السموت وما فى الارض للانتفاع ، وخلق الافعال الحسية والسببية للابتلاء وخلق عيسى اية فى الانبياء وهذا يحقق فى التفسير والمشكلين على الاستيفاء ان شاء الله . وقولهم ان الحركة الدورية تفتقر الى فاعل مباشر كلام باطل وضعيف . اما ضعفه فقولهم كل حركة دورية فيقال لهم لا يصح اختصاص الدورية بذلك فان غيرها فيها كذلك . واما كون الحركة تفتقر الى محرك مباشر فباطل قطعا دليلا وباطل منهم فقد قال ان حركة الزات تشوق ولا مباشرة فيها وانتم ترون هذا التفاوت فى التهافت . وقولهم ان ذلك لا يكون الا نفسا متغيرا محال دليلا ودعوى بطرا . وقولهم ان العقل المجرد الذي لا يتغير ولا تصدر منه الحركة المغيرة باطل . لا يصدر التغيير الا من لا يتغير ولا يفعل شيء مثله ابدا فان ذلك محال قطعا يقينا . وما ركبوه من واسطة العشق حتى يكون الفعل عنده كلام غث ، ماأخذ لهم بينما يكونون بزعمهم في برهان اذهم

(١) كذا بالاصل .

قدخرجوا الى خطبة ومثل وشعر وخلع عذار وذلك عندهم بعيد من البرهان
واما النفس فهو عندهم من الالفاظ الالهية وهو عندهم عبارة عن معنى يشترك
فيه الانسان والحيوان والنبات بمعنى والانسان والملائكة السماوية بمعنى وهو
بالمعنى الاول جسم وهو عندنا عبارة عن ذات كل شيء موجود وعن الروح
الذي تميز به الحيوان عن الموات ، وما ركبوه لانفسهم من المعانى على
الاسماء فهي دعاوي لانهم دخلوا فى الائمة فاستعاروا لاغراضهم اسما
فلا يبالي بهم ولا بمنعهم الا عما يتعلق ذلك بالشرع (١) واما الجسم
فهو عندهم عبارة عن معان منها الممسوح بالابعاد الثلاثة اما قوة واما
فعل فى انفصال مادة وهو عندنا عبارة عن كل شيء مؤلف من
موجودين فصاعدا لاثالث فيها . — فاسمعه — لو سمعتم ترتيب صدور
الموجودات عن الاله لسمعتم احاديث ام عمر ولا حديث خرافة فانه
ليس كما تعتقده الحمقى ، امر دون امر ، قال رأسهم رئيسهم : غايه
التحقيق في ذلك ان الثابت كون الاول واحدا من كل جهة ولا
يمكن ان يوجد من الواحد الا واحد فيصدر عن الاول الواحد
شيء واحد بالذات لا من جهة الازل حكم فيكون [٢] كثرة

(١) هذه الكلمات مكتوبة بالاصل (٢) في زيادة . فيه كثرة

ويكون ذلك مبدأ للكثير ووجه ذلك ان الاول واجب الوجود وغيره ممكن الوجود فهو محكم [١] ممكن وهو بقياس السبب واجب فيكون له حكمان فتكون الكثرة . — ناقضة — قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه : قلنا لهم ان كان هذا طريق الكثرة فهو طريق السخافة والخذلان وهما اخوان . وان [٢] قيل لهم لا سبيل ان يكون الاول واحدا فان الوجود له لايتجرد عن علم فانه يعلم ولا عن معان اخر امهاتها عندهم الا يكون وجود لسواه الا منه فائضا عن وجوده بواسطة او بغير واسطة لا يتكثر بغيره ولا يتجزأ فكما كان الوجود الثاني كثرة لانه ممكن لغيره كذلك يكون الاول كثرة لان غيره ممكن به والامكان مضاف اليهما ما وهذا لاجواب عنه ، واذا قلتم انه سبب لغيره فاي واحد هاهنا ؛ وانما الوحدة المحضة ماقاله امثالهم من انه ليس هنالك شيء يذكر ولا يقال ولا يضاف اليه شيء ولا يكون عنده شيء فهذه حالة ربما كان وحده ولا يقوم احد منابه ، واما ما ذكرتموه فلا اعلم في الكثرة شيئا اكثر منه ، — قاصمة — قالوا صدر من الاول عقل مجرد وفيه تعديد بالشيء

---

(١) خ زيادة لفظة : ماهو (٢) الجواب محذوف تقدير عجزوا

كما يجب فيما قلنا فكان فلكا وملكا — عاصمة — وهلا كان ماء ونارا ورطوبة ويبوسة ، وباي دليل عينتم هذا ومن اي طريق عرفتموه فلا سبيل لهم الا معرفة ذلك ابدا ، قالوا ونعني بالملك العقل المجرد وينبغي ان يحصل للاشرف من الوصف الاشرف والعقل اشرف والوصف الذي له من الاول وهو الوجوب اشرف ويلزم عن العقل الاول ثان ومن الثاني ثالث وفلك البروج ومن الثالث رابع وفلك زحل ومن الرابع خامس وفلك المشتري ومن الخامس سادس وفلك الشمس ومن السادس سابع وفلك المريخ ومن السابع ثامن وفلك الزهرة ومن الثامن تاسع وفلك عطارد ومن التاسع عاشر وفلك القمر وحصلت الموجودات الشريفة تسعة عشر عشرة عقول وتسعة افلاك ، فما زاد في هذا التخليط ضيق المارستان حتى صار في كل انسان ، ماأشهدتهم السموت والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ، ماهذا التبجيح في الدعوى امتلات روسكم هوسا وتمكنتم من الدولة والخلاء فجئتم بما حقه ان يقذف في الخلا ،

يالك من قنبرة بمعمر ۞ خلا لك البر [١] فبيضي واصفري

---

(١) خ الجو

ونقري ما شئت ان تنقري

من اين لكم هذا التركيب فكيف بما ا-دلا من انترتيب ثم ما اليه من التعديد ولعل هذه الكواكب كلها في فلك واحد ولكل كوكب مجراه ، ومجراه في (١) دائرته وفلكه كالدار لكل واحد فيها مسكنه ، وليس لهم عن هذا جواب ، الا ان يقولوا رصدنا فاصبنا . قلنا ونحن رصدنا لكم فلم تصيبوا . واذا رصد واحد لا يحقق صدقه يبني (٢) عليه السموت والارض . فان قيل نعرف ذلك بحساب الكسوف . قلنا قد بينا امر الكسوف في موضعه بابدع بيان . والآن في مناظرتكم نقول هبكم ان ترتيب مجرى الشمس والقمر على برهان الحساب من اين يعلم ترتيب غيره . وهذا الآن نظر في الهيئة ولا نبالي كيف كانت وانما المفتقر اليه ما تريدون ان تبنوا عليه فالدار تصلح للفجور وللعمل المبرور ولا ينفع (٣) التعيين بدليل عقلي وانما يكون بالوجود او بخبر الصادق وذاك المفهوم من غرضهم . — تركيب الامتزاجات من العلويات في السفليات — فنقول لهم اولا تكثرون من ذكر العلو والسفل

---

(١) او هي (٢) او تنبني (٣) خ نقع

ونحن نقول لا حقيقة له عندكم هل كان علوا او سفلا الا بواسطة الانسان فمن يمش على بطنه اين علوه وقبل ان يوجد ذلك ماالعلو وما السفل ولم كان الاول الذي صدرت عنه هذه المعاني في العلو ولم لا يكون محيطا واذا كان محيطا فلم لم ينزل المطر من جهة الارجل الى الرءوس ويكون النبات على رأسه واصله في رأسه اجروا ذلك على موجب الطبع ، حتى يظهر في اثناء ذلك كل بدع . ثم من المسكت لهم ان تقول قلتم ان الشمس لا تكون سببا لنضج الفواكه الا بشرط قوة طبيعية تكون فى الفاكهة قابلة لهذا التأثير فمن الشمس كانت هذه القوة لها ام من غير الشمس . ومن اغرب محالهم انهم قالوا ان مادة الهواء قابلة لصورة النار والماء ولكن غلب البرد فكان لقبول صورة الماء اولى فيقال لهم الجهل بهذا الكلام اولى لكم ثم اولى اذا طولبتم بالدليل عليه جفت افواهكم وخرست السنتكم . — قاصمة — لما رتبوا منازل الموجودات حتى انتهت الى الامتزاجات جعلوها في بعض المراتب استقصات وهى النار والهواء والماء والارض ورتبوا لها في الامتزاجات احوالا وصفات مختلفة جعلوا بعضها كمالا و بعضها نقصانا و بعضها خيرا

و بعضها شرا و يتأتى ذلك باستعدادات واضافات كان اصلها وجود العناصر الاربعة المختلفات فى السلفيات ومنها ما يطلب الوسط ومنها ما يطلب المحيط ولا بد من مادة مشتركة لاجل انه لايجوز ان يكون سبب وجودها السموت وحدها فى هذيان طويل هذه مقدماته . — عاصمة — ومن العجب ان الاستقص عندهم هو الجسم الاول . فهذه الاجسام الاول اوجدت عن مثلها او عن خلافها وما الذي اوجب امتزاجاتها ولم اختلفت احوالها وصفاتها ولم تزايدت ونقصت ومن اين نشأت هذه الاستعدادات والاضافات اعن اسباب مماثلة او مختلفة . اضيفوا نوعا الى نوع وركبوا مثلا على مثل حتى يظهر تهافتكم فى كلامكم ، فيخرج من فيكم ما يكفيكم . وهذه العناصر الاربعة التي عينتم هلا كانت ستة وثلاثة فمن اين وجب هذا التعديد فيها وتعينت لها والنار جرم بسيط حار يابس طبعه الحركة الى الوسط من اين كان حارا يابسا دون ان يكون رطبا والحرارة من اين جاءته وكذلك اليبوسة ولم كان فى مقعر الفلك القمرى وهلا كان في مقعر فلك الشمس وكذلك قلتم الهواء حار رطب من اين جاءه هذا وهلا انقلب الامر فيه . ولم قلتم انه يتحرك

الى تحت كرة النار وهلا كان فوقها . اثبتوا ماقلتم من دعوى وعللوه بعد الثبوت . وقلتم الماء جرم بارد رطب يتحرك بالطبع الى تحت كرة الهواء فوق الارض . والارض جسم بارد رطب طبعه ان يكون متحركا الى الوسط نازلا فيه . اثبتوا هذه الدعاوي وعللوها على مرتبتكم ولم كانت الارض ولم يكن الماء والهواء والنار كذلك ومن اين نسبتم ذلك الى مادة ولم جعلتم سبب وجودها معنى غير السموت ولم تحدث غيرها فاحلتم فيها على العدم . ومن العجب انهم يريدون ان ينفوا البركة من الحركة فيقولون انها كلمة في عبارة عن كمال اول بالقوة او خروج من القوة الى الفعل لافي آن واحد . وبالجملة فكل تغير عندهم حركة فهذا اصطلاح احذر ان تنبني . عليه حكما . انما الحركة النقلة من جسم الى جسم اوما هو في معنى الجسم من الجوهر لا سيما وقد ادخلوا في حد الحركة الآن وهو عندهم كلمة يعبر بها عن ظرف متوهم يشترك فيه الماضي والمستقبل . وهذه سخافة . وهو معقول عبارة عن الحال الكائنة التي طرات ثم ذهبت . والعقل يقضي بين الطرو والذهاب بالفصل . — نكتة القضا والقدر — ويقال لهم اذا كان الاول كمالا وشرفا اوذا كمال وشرف وصدر عنه

تسعة عشر من هذا النوع كما قلتم فما هذا النقصان والفساد والشر الصادر من (۱) غاية الكمال والشرف والصلاح والخير وانتم تقولون ان الخير فائض من المبدا الاول على كل احد بواسطة الذي سميتموه فلكا اوملائكة لا سيما وهو عندكم فياض بالطبع . قالوا مايخلق الشر الا والخير فيه اغلب كالنار والماء الخير فيه اغلب من الشر اذ لو لم يخلق زحل والمريخ والنار والماء والشهوة والغضب لبطل بسبب فقدانها خير كثير . قلنا ولم لم يكن عن فياض الخير بطبعه الا ما لا يفيض الا خيرا من كل وجه كهو . قالوا الخير المحض هو الموجود(۲) والذي لا يتمحض خيره وفيه شر ممكن ينبغي ان لا يوجد وهو ممكن وكانكم قلتم لو لم يخلق النار ولا زحل الا بحيث لايكون نارا ولا زحلا . قلنا هذا خذلان وهذيان ومن قال ان قسم الخير الذي فيه شر غير ممكن . قلنا وكيف امكن وجود خير فيه شر عن خير محض ان كان الوجود بالذات فاما وجد بطل هذا الاصل . قالوا الشر فى العدم وهو النقص عن الكمال ، قلنا وكيف امكن الشر فى وجودكم واولاكم ماكان شر والعدم عندكم هو احد مبادي الحادث وهو ان لا يكون

---

(۱) خ عن (۲) يعني الواجب

فى شيء ذات شيء من شانه ان يقبله ويكون فيه وليس العدم ماذكرتم انما العدم الا يكون شيء اصلا قالوا المفيد للخير بين ان يخلق المطر بخيره العام ولا يعبا بالشر النادر فيه الذي يلزم بالضرورة عنه . وبين ان لا يخلق المطر ليصير الشر عاما واذا قوبل هذا بذلك علم قطعا ان الخير فى ان يخلق . قلنا هذا الكلام على ركاكته باطل لانه ترك منه قسم وهو ان يخلق المطر خيرا كله او يخلق الخير دونه فما الذي اضطر (١) الى ان يخلق على حاله . قالوا وبهذا الترتيب كان القضاء والقدر ومنع من ذكر شره لانه يوهم العوام عجزا فكان الصواب ان يقال لهم الله قادر على كل شيء ليوجب ذلك تعظيما ولو فصل لهم لتوهموا العجز فهذا سر القدر . قلنا هذا سر القدر بالشين المعجم بالنقط الثلاث . ليس للقدر سر بل للقضاء والقدر حكم نافذ كله . ومن شر القدر نعوذ بالله منه خلقكم وخلق كلامكم هذا وكونكم فى العالم ضلالا مضلين بالفاظ هائلة ومخرقة باردة . وقد قال ربنا تعالى وكل صغير وكبير مستطر . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فكتب مايكون الى يوم القيامة ، وقال ربنا تعالى

---

(١) لعل الاصل اضطره

لا يسل عما يفعل وهم يسئلون ، اما ان علماءنا قالوا ان الله قد انبانا عن صفاته العلى واسمائه الحسنى التي منها العزيز الملك الغفار المنتقم فجرى الخلق في صفاتهم وافعالهم على مقتضى صفاته فلم يكن بدلا جل كونه غفارا من ان يكون هنالك ذنب ، ولكونه منتقما ان يكون هنالك هتك حرمة واقتحام فاحشة وبكونه مغنيا ان يكون هنالك محتاج وبكونه راضيا ان يكون هنالك خير وبكونه ساخطا ان يكون هنالك شر وليس في المخلوقات صفة الا وهي تتعلق بنوع من الصفات فالقضاء والقدر هو تعلق المخلوقات بصفات الخالق والتنويع والانقسام من متعلقات الارادة التي لا يؤمنون بها وهم لها منكرون ، واذا كان عزيزا فالعزيز هو الذي لا يرام بوهم وتنفذ ارادته في كل موجود ولا يوجد له مثل ولا ينحط عن المنزلة ولا يبالي بالعاقبة ولا مخلص منه ولا ملجأ الا اليه ، اليه منتهى المطالب ولا تلحقه آفة ويفعل ما يشاء ، ومما ينبغي معشر الاخوان ان تعلموه ان كل حديث فى النهي عن الخوض في القدر لا اصل له ، وانما احدث النهي عنه قوم مثل من احدث القول فيه ، كانهم قصدوا حماية الشريعة بما ليس منها والله غني عن العالمين فكيف عن الكاذبين — عارضة — حضر عندنا بعض

الطلبة بكتاب عاق في آخره على عادة الناس مسطورا هذا نصه : -
كلام حكمة الاسكندر فى الاعتبار بالاجرام العلوية — بينما الاسكندر على سريره فى صحن داره اذ تامل طوالع البروج وآفلها ، وجواري السعود في مناقلها وانتظام الكواكب في اقطارها وازديان فلكها بزينة مصابيحها وسير دراريها ولوامع شهبها وميز كيف وضعت فى مراكزها ثم تقبل فى مسيرها وتنعكس الى مغاربها بتدوير الفلك اياها لا يردعه عارض عن مراعاته ولا يقطعه مانع عن دوام حركته ولا يعوقه امر دون المضي الى مارتب له بطبيعته ، فقال ايها الفلك الدوار المنبى عن الحكمة المنوطة بالانوار المتلالئة والنجوم الزاهرة والشمس النضرة ، ان فضا تظله لرحيب ، وان عالما تؤثره لعجيب ، وان خطر ماضمنته لجليل . وان بصرا الممح ماوراءك لغير كاليل ، وان سكانا عصبوا فيك لفي معقل منيع ، وان حادثا يشتت اركانك ويخر سقفك ويقلقل ذرى بنيانك لحادث فظيع ، وان قيامة مبدؤها انتقاضك لعظيم الخطب ، فسبحان من ابدع جوهرك من غير عنصر . وادنى اقاصيك الى غير علاقه ، وركب اعاليك بلا سلم ، وفسح حدودك بلا احاطه ، ما ادل كرور ليالك على نهارك ، ورجوع

نهارك بعد انقضاء ليلك على كرور ابدائنا بعد دروجها وانقراضها . وارتداد النضارة في بالي الشجر بعد نحو لها ، واهتزاز الارض واخضرارها بعد همودها واقشعرارها ، على ارتداد الارواح المقبوضة في اجسامها بعد تمزقها واضمحلالها . وادل استسرار القمر واستهلاله وتقسيط الحساب بين فصول الايام على عدالة الرجعة وعدل حساب الكثرة . فليت شعري الى ماذا تتناهى الحكمة بنا ، والى اي الحالين يؤول الامر ، وعلى ايها يجب القود بما اريق بيننا وبين ملوك الارض من الدماء . — قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه — وهو بعقله مولع بها متعجب بها يدعو الله ان يفهمها له ويسأله ان يفتح له في معرفة مقاصدها . فاشفقت منه وخفت عليه وعلمت انه بقلة معرفته اغتر بهذا اللفظ الهائل ، الذي ليس وراءه طائل . لكونه مخل المعاني . معتل المباني — فقلت — في نقضه ، وبيان حقيقه التوحيد فيه : ايها الفلك المدار برغمه ، لقد ضل من يسميك دائرا بزعمه ، فكيف من يعتقدك فاعلا بوهمه ، هذا وهو يرى عليك اثر التسخير باديا ويشاهد فيك سنن التدبير جاريا ، هل انت الا محل نيرات ، ومجرى حركات ولزيم تحويلات وضعت على المنافع علامات . فياليت شعري باي معنى

عززت ، وفي اي منصب من الفاعلين نزلت ، ابحياتك تصرفت ، ام بقدرتك او جدت ، ام بارادتك قدمت واخرت ، وماثلت وغايرت ، ام بعلمك اتقنت واحكمت . هذا وهيأتك لو تغيرت عما هي عليه لم تكن في شيء مما ينسب اليك . والتغيير عليك جائز ، فليس بينك وبين الحدث حاجز ، والفاعل بالحقيقة هو الله الذي تصدر عنه الافعال ، ولا تتغير عليه الاحوال ، هل مايعتقده المغترون فيك الا ذكرة خاطرة ، وفكرة عائرة ، لم يصحبها مزيد ، (١) ولم تتقف بقانون التسديد ، ماانت بنفسك فكيف ان تكون لنفسك فضلا عن نسبة شيء اليك من غيرك ، فمن كان مستريبا بافعالك ، او معتقدا لجلالك فلينظر الى امثالك ، فانه يتحقق ان الوحدانية لا توازن بمثال ، ولا تعارض بالامثال ، ولا بد منها في الاعتقاد والمقال ، وانتم سبعة افلاك او تسعة ، فعند من تبتغي منكم النجعة ، والواحد من له الاختصاص ، والعبد المشترك بعيد عن الخلاص وليم لم نه لو احيل عليك بالجدال ، وفوجئت بالسؤال ، وطولبت بالنظر والاستدلال لكان لك فى الجواب اختلال ، ولم ينصرك اعتلال . فما وراءك ياعصام . اعدم ام وجود ؛ ام بحر

---

(١) كذا بالاصل ولعل الاصل تاييد

موروود ؛ ام نبات محصود ؛ واي قسم ادعيت من ذلك او ادعي لك : فقد اسلمك فيه النظر وخذلك ؛ ونحن اذا خاطبنا منك من لايعقل الخطاب ؛ وقاولناك كانك — ولست منهم — من ذوي الالباب ؛ فان لسان الغيرة عنك ناطق ؛ بانك صنيع القادر الخالق .

قل لي وان كنت الغني ي بصدق علمي عن سؤالك

ماذا افدت من الحوا دث في كرورك وانتقالك

بل انت فيه مسخر مابين حلك وارتحالك

هلا ثبت معظما وادرت غيرك باحتيالك

حتى يكون الكل يسعى في امتثالك لامثالك

فالان حين تبينت ايات نقصك واختلالك

امن ذاتك نشات وابدعت واصدرت ؛ هيهات ان تنشا مختلفات بديعة ، عن ذات واحدة بالطبيعة . اذ لا تغاير بين المختلفات الا الا يثار ؛ ولا يدل على الاعيان الا الاثار . فالزم قدرك حتى ياتي امر الله فانه لا يغتر بك الا الغافل اللاهي : — تاصيه — اذا نزل القوم عن العلم الالاهي وهو القول في الله وصفاته الى مادونه ركبوا كلامهم فيه على اربعة اركان هي عندهم الصورة والهيولي والحركة والمكان وقد جرت

فيما مضى عرضا فلنذكر الآن قصدا وله عندهم ستة معان فالذي هو الان متحاهم فى الصورة هى الحقيقة التى تقوم بالمحل وحده عندهم انه الموجود في شيء آخر لا كجزء منه قالوا كصورة الماء فى هيولى . (١) وهيولي الماء انما يحصل بقبوله الصورة الجسمية وهى عندهم جوهر وجوده بالفعل ولا يحصل الفعل الا بقبوله . والحركة عندهم كما قدمنا هى الانتقال من مكان الى مكان او من صفة الى صفة . والمكان هو السطح الباطل من الجرم . والزمان عندهم هو مقدار الحركة من جهة التقدم والتاخر . — عاصمة — اما الصورة فهي عبارة عن حقيقة الشيء فى تركيبه وتاليفه او عن حقيقته فى ذاته ، والاول حقيقة والثاني مجاز فاذا قال القوم انها موجودة في شيء لا يكون جزءا منه فذلك هو العرض عندنا ولكن ليس على العموم يطلق على كل عرض . واما قولهم كصورة فى هيولي الماء فقد تبين من تفسيرهم الهيولي ان الهيولي جوهر وجوده بالفعل ان ذلك يرجع الى المعلوم في العدم المقدر وجوده وعليه يحومون ، واذا كان هكذا فصورة الماء هى الهيولي المقدرة قبل وجوده وكان مقدرا على ثلاثة انحاء النحو الاول برودة

(١) لعل الاصل في هيولي الماء

مطلقة والنحو الثاني رطوبة مطلقة والنحو الثالث جرم يقوم ذلك به ، فهذا هو الجوهر وتقديره وقيامه به اذا وجد فما هذا الهيولي فى الهيولي . واقرب منه (١) يقولون ان الماء اذا كان عـن انقلاب الهواء اليه فقد خرجنا عن ذلك كله ويتهافتوا ولزمهم ما لا انفصال لهم عنه . واما الحركة فقد بيناها ولا معنى لذكـرها على ارادة تغير الصفات واذا اصطلحوا على ذلك لم نمنعهم ولكـن لا يكون اصطلاحهم اصلا يركبون عليه معنى فان الاطلاحيات لاتتركب عليها المعاني ؛ واما المكان فلا نمنعهم منه ولا نبالي عنه اكثر من انهم زادوا فيه الحاوي وليس من شرطه ان يكون حاويا بل لو فرضنا جوهرا بين اربعة جواهر لكان كل واحد مكانا لصاحبه وكان المحوي واحدا منها — قاصمة — قالوا العرض عبارة عـن معان اكثروا فيها قدافسدناها في موضعها ومعولهـم فيها الان على الكمية والكيفية والكمية عرض يقوم بالجوهر مـن جهة المقدار وهو عبارة عن كل مايقبل التجزي . والكيفية عندهم الهيئة في الاشخاص احترازا عن الفصول وهى عبارة عـن كل ماهية قارة فى الجسم لاتوجب للجسم نسبة الى خارج ولا

---

(١) خ من ذلك والاول اب[illegible]

والقفة فى احد اجزائه احترازا من الاضافة والوضع (١) . واذا قرروا الحرارة والرطوبة واليبوسة فهي اعراض تتعاقب على الاجسام وقد تزول البرودة عن الماء فلا يبطل كونه ماء لان ذلك معنى في الهيولي لا يدرك بالحواس وقد قال قوم منهم لايكون الماء حارا لان ذلك ابطال للطبع ولكن تمتزج من اجزاء النار مع اجزاء الماء الى تخليط كثير فى الامتزاج اصله عندهم ان تمتزج العناصر وهى الاصول الاول بحيث تفعل بعضها في بعض وتتغير كيفيتها حتى تستقر للكل كيفية متشابهة فيسمى ذلك الاستقرار امتزاجا بان يكسر الحار من البرودة في البارد وعكسه ونحوه الرطب واليابس ولا بد ان تبقى الصورة وهى القوى الموجبة لهذه الكيفيات لانها لو بطلت لكان ذلك فسادا لا امتزاجا ؛ وقد قال ارس تو (٢) طاليس ان قوى العناصر الباقية باقية فى الامتزاجات ولا يوجد امتزاج معتدل بحال والارض ثلاث طبقات والهواء اربعة والنار واحدة . — فاصلة — اما الكمية والكيفية فهي عبارة عن المعانى التي يسأل عنها بكم وبكيف فيسأل بكم عن اشياء متالفة فى الوجود المحقق او المقدر ويسأل بكيف عن صفات تكون

(١) هذا في نسخة (٢) هكذا رسم في الاصل

تلك الاشياء علبها متوحدة او مثناة . وقولهم انه عبارة عما يقبل التجزي صحيح في الجملة ولكن اصله لايتجزى . وقولهم الكـيف عبارة عن هيئات الاشخاص قلنا هذا باطل بل هـو منطلق على مايتشخص ومالا يتشخص فهم ان اصطلحوا على هذا لم نمنعهم مالم يركبوا عليه مذهبا واما قـولهم انه هيئة قارة في الجسم فباطل قطعا بل يصح ان يكون دائمه وزائله . واما قولهم لاتوجبه نسبة لا الى خارج ولا وافقة في الداخل باطل بل توجب النسبة مـن طرفها الداخلة والخارجة . واما قولهم ان البرودة قد تزول عن المـاء فلا يبطل كونه ماء لان ذلك معنى في الهيولي لاتدركه الحواس فسخافة لان الاعراض المتعاقبة على الجسم لايزول الجسم بزوال آحادها وانـما يزول بزوال جميعها فلو فرضت في المـاء زوال الرطوبة كما فرضت زوال البرودة مابقي ماء . واغرب منه في ابطال مذهبهم ان فرض زوال البرودة يجوز ويوجد وفرض زوال الرطوبة لايجوز ووجوده غير رطب محال فلا يصح لهم . وقولهم ان الحرارة ان زالت لايبطل كونه ماء لان ذلك معنى في الهيولي قلنا فافرض زوال الرطوبة عند (١) كلاهما ويبقى في الهيولي ولا يصح

(١) خ عنة وتامل حاصل الكلام

لكم تقدير كون الشيء على صفته فى العدم بحال فلا تقطعوا قلوبكم في ذلك . قول من قال منهم ان النار تمتزج مع الماء فيصير الماء حارا قلنا على هذا الخباط ، ولم لم تكن النار باردة بهذا الامتزاج وما الذي تقضي بذلك على الماء مع النار ولم يقض به للماء على النار . واما قولهم ان العناصر الاول تمتزج فتفعل بعضها في بعض فقولوا من يمزجها

لاتنسب المزج الى غيرها (۱)   انك لاتدري من المازج

وراجع (۲) الى الله فان الذي   تخبر عنه همج هامج

وقولهم انه يفعل بعضها فى بعض كلمة باطل اريد بها باطل لافاعل الا الله حقيقة ولا فاعل مجازا الا الحيوان . واما عنصر اوماء اونار اوحديد فاعل فلغو من الكلام باطل ثم ماقولوا ان كذا فعل كذا يعكس عليهم فيقال لهم لم كان هذا فاعلا وهلا كان الاخر كذلك وما الفيصل بين تلك الامتزاجات فى التعادل ومن المقدر لذلك الاستقرار واما قولهم ان الصور تبقى محال لو بقيت الصور ما كان امتزاج وان فسروا الصورة بما ليس بمشاهد فهو باطل ولا يبقى مع الامتزاج صورة ولاهيولي لشيء من الممتزجين الاماشتركا فيه عند الانفصال

(۱) خ طبعها وهو الظاهر (۲) كذا بالاصل والصواب وارجع . ليتزن

فذلك الذي يبقي بعد الامتزاج . وقول ارس توطاليس انه لا يكون امتزاج لمعتدل ابدا قلنا وكيف لم يكن من الخير المحض اعتدال فى شيء فما صدر عنه من الامتزاجات اعن عجزا وجهل . نفد ذل من ضلت عليه المقاصد . وقد قالوا ان كل جسم بسيط فله شكل طبيعي وهو الكرة ومكان طبيعي وهو الذي يوجد به فان تحرك فانما يتحرك الى مكانه الطبيعي . فيقال لهم بل شكله التربيع ولا فرق وان تعلقوا بهيئة الفلك ، وقد خاب من تعلق بذلك وهلك . ثم يقال لهم فاذا امتزج البسيطان او البسيط وتركبا اوتركب فهل يزول ذلك الطبع فان قالوا يزول قلنا مامن حقيقة لشي تزول لمجاورته لغيره وليس فى العالم خلط وانما هو كله مجاورة حتى لو خلطت لبنا بماء لكانا منفصلين بل لو خلطت ماء من كوز بماء من كوز لما كانا الا متجاورين وهذا اصل من اصول الحقائق ضلوا عنه فتاهوا ولم يهتدوا . ثم يقال له ومن اطبعه لذلك المكان انفسه ام غيره فان كانت نفسه فلم غير نفسه وان كان غيره فدع الغير يحكمه ويكون ذلك الغير هو الفاعل حقيقة . وقولهم فان تحرك يقال لهم ولم يتحرك ولا يقولون فيه ماينفع . وقولهم فان تحرك فانما يتحرك الى مكانه الطبيعي . وهذا تهافت عظيم يكون

في موضعه بالطبع ثم يتحرك منه الى مكانه بالطبع فكل موضع له بالطبع الذي فيه ينتهى اليه والذي يمر عليه لاشك انه ايضا بالطبع فلا يخرج فى حال من احواله عن الطبع . هذه سخافات لا تعقل من اقوالهم . — قاصمة — قالوا فى الامتزاج والتكوين والفساد مالا يحصى من الفساد والعناد ولكن نضبط منه لكم الآن جهالتين . الجهالة الاولى قالوا اذا سخنت الشمس الارض بواسطة الضوء صعدت من الرطب بخارا ومن اليابس دخانا وما ثخن منها وهو الجهالة الثانية ، فى باطن الارض معادن فيتكون فى الجهالة الاولى من مادة البخار الغيم والمطر والثلج والبرد واشياء ذكروها فمتى ارتفع من الطبقة الحار من الهواء الى النار ثقل (١) بالبرد انعقد فصار غيما قالوا ويتكون من مادة البخار والريح الصاعقة والشهب والكواكب ذوات الاذناب والرعد والبرق فاذا تصاعدت ارتفعت فى وسط البخار فهي اميل الى جهة للفوق فاذا ضربه البرد ثقل وانتكس وتحامل على الهواء دفعه وحركه الهواء بشدة فحصل الريح وان لم يضربه البرد تصاعد الى الاثير واشتعل النار فيه وان استطال الدخان كان كوكبا منقضا وان كان لطيفا

---

(١) محو بالاصل

القلب نارا فلا يرى فان النار تخرج عن المشاهدة بان تصير ماء صرفا (١) او تنطفي فتصير اهواء وان بقي شيء من الدخان في الغيم فتحرك بشدة صار رعدا فان قويت حركته صار نارا وهو البرق وان كان كثيفا ثقل الى الارض فصار صاعقة ولا يخلو برق عن رعد ولكن بحدة البصر يرى ولا يسمع لان البصر يدرك بغير زمان والصوت لا يسمع مالم يتحرك الهواء كله . — عاصمتها — اما قولهم اذا ارتفع البخار من الهواء الى النار باطل ليس للهواء وصفان انما هو حار او بارد . وقولهم ارتفع البارد الى الحار تخليط بل يرتفع الحار الى البارد لان شان الحار الارتفاع وشان البارد الانخفاض . واما قولهم ثقل فكيف يثقل حار لقد انقلبت عليكم الامور وقولهم يتكاثف اقلب لم يتكاثف الحار بلقاء البارد ولم يتلطف البارد بلقاء الحار وقولهم انعقد فصار غيما يقال لهم من يمسك المتكاثف الذي شانه الاستفال ومن جعل النار تصعد اليه والمتكاثف يثبت فلا ينزل . واما قولهم يكون من مادة البخار الريح لانه اذا تصاعدت قلنا هي المتصاعدة قالوا ارتفعت في وسط البخار قلنا ولم لم تنته الى الطرف اذ هي اميل الى

---

(١) كذا بالاصل

جهة الفوق كما قلتم وقولهم اذا ضرب البرد ثقل يقال لهم فكيف
يثبت مع الانتكاس في مقره فالى اين يبلغ والى اي حد انتكس
ومن قدر له هذا التقدير ورتبه اطبع تقولوه ام امر غيره فعينوه .
وقولهم انه يطيح (١) للهواء فتحصل الريح قلنا دعوى ويبطلها
العيان نحن نشاهد الريح ولا بخار ولا دخان ولا غيم الا الصفا المحض
وقد يكون الغيم اعظم ما كان حتى يظلم الارض ولا يكون عنها
ريح وتنجلي عن غير شيء . وقولهم ان لم يضربه البرد تصاعد الى
الاثير . ما الذي يمنعه عن صرف البرد له اعدم البرد ام يلقاه فيحول
بينه وبينه حائل ومن هذا الاثير الذي يصعد عليه وربما حال بينه
وبينه الوثير فان قالوا وما الوثير قلنا ابو الاثير خاط بخلط وتضلال
بتضليل وقولهم تشتعل النار فيه . احطب هو فان قيل بطبعه يقبل
الاشتعال قلنا وما طبعه فان فسروه لم نعدم ابطاله مما تقدم . وقولهم
ان استطال الدخان صار كوكبا يقال لهم كذا النار اذا اشتعلت
صارت ماء . ياحمق ما الدخان المظلم والنور المضيء ضدان طبعا
ووصفا ومشاهدة . السفسطة يقولون ام على الله يفترون . وقولهم ان

(١) هذا اقرب ما يظهر

كان لطيفا انقلب نارا فى الحال مثله . والطامة العظمى عليهم قولهم ان النار المتكونة من البخار اذا كان لطيفا تصير ماء صرفا . فيالله ولهذه العقول التى تسمع مثل هذا دع عنك الذى يقوله . وقولهم ان تحرك شيء من الدخان صار رعدا قلنا ايس الاصطكاك لبخار منفك انما يكون لجسم مصمت ثم من يحركه واذا تحرك من يمسك الاخر حتى يصدمه هذا ولعله يدفعه فيندفع له وقولهم فان قويت حركته صار نارا قانا لم يصير نارا وهلا انقلب رجلا مخذولا عندكم يقول انه فعل الله او ينقلب نورا او ينقلب ترابا وهواء وقولهم ان ثقل صار صاعقة قلنا لاندري ما الصاعقة صوت حيوان او هدم بنيان ويقال لهم اذا لطف صار نارا . فاذا كثف لم لايصير طينا وقولهم لايخلو برق عن رعد المشاهدة تكذبه فانا نرى البرق فى الصحو الذي لايكون معه غيم ابدا ويتقدم البرق الرعد قلب ما قالوا — الجهالة الثانية — فيما يتكون من المعادن فى باطن الارض ينطوي على — قاصمة — من جملة الجهالة الاولى . وهى ان الشمس تصعد من الرطب بخارا ومن اليابس دخانا اذا سخنت الارض فتكون فى باطنها ابخرة فيتصاعد من باطنها من تلك الابخرة بما سرى من حرارة

الشمس فتنفس وتتفرق فى الخروج من مسام الارض الا مايقع تحت الجبال الصلبة فانها لا تتنفس فاذا احتقن صار مادة للمعادن واذا وجد منفذا فى شعب الجبال فان كان ضعيفا بردته حرارة الشمس ورجع هواء وان كان قويا او كانت حرارة الشمس ضعيفة ولم تؤثر الشمس فيه فيجتمع وربما اعانت الريح على جمعه بان تسوق البعض الى البعض حتى يتلاحق فاذا انتهى الى الطبقة الباردة تكاثف وعاد ماء وتقاطر ويسمى مطرا فان ادركه برد شديد جمد ونزل كالقطن المندوف فان لم تدركها برودة حتى اجتمعت قطرات ثم ادركتها حرارة من الجوانب فانهرقت البرودة الى بواطنها صارت بردا . — عاصمة — قال القاضي ابو بكر رضي الله عنه لهذا وامثاله قال ربنا تعالى مالكم كيف تحكمون افلا تذكرون ام لكم سلطان مبين قولهم ان الشمس تفعل كذا الى قولهم دخان تحكم بغير علم وتشهى بغير نيل وقولهم ان تلك الابخرة تتنفس ماالذي ينفسها وقولهم يخرج من مسام الارض يريد من خللها مامن مسم الا وتدخل عليه حرارة وكيف تخرج منه برودة او حرارة مثلها . وقولهم الا مايقع تحت الجبال الصلبة فمن اين يمنع الجبل من دخول الحرارة ويمنع من خروج

البخار فان دخل عليها حرارة خرج عنها بخار ولم لايكـون حر الشمس ياخذ من الجبال عمقا بمقدار ماياخذ من الارض ويكـون الواحد في النفوذ الى باطن الارض واحدا سهلا او جبلا وقولهم اذا احتقن صار مادة للمعادن . وكيف يكـون حر الشمس مادة وهو واحد ذو طبع وصورة لمعان متضادة قد بينا استحالته . ويقال لهم حر الشمس النافذ فى جوف الارض ولده فكيف يقال اذا برز اليه برده وكيف يصح ان يرجع البخار هواء وينقلب الحال فيه وهلا رجع نارا او ماء . وقولهم اذا تكاثف صار ماء قلنا لهم هـذا البخار لاتدرون قبل (١) الى اي شيء تردونه تارة نارا او هـواء او ماء او معادن او بروقا او غيما او رعدا فقولوا انه رجع صخرة او فيلا او حمارا او ثورا وما هذه الحالة (٢) الا تدعون مرة عن هذه السخافة . ومن اللطيفة التي جعلت الطبيعة الباردة فى ذلك الموضع ورطبت تلك الطبقات بترتيبكم (٣) المتحكم فيه وهذه اللطيفة بسيط ام مركب مادة ام صورة وكيف ينتظم هذا كله معها فسروها وركبوا المعنى عليها وذلك لا يتمعنى ابدا . وقولهم ربما ادركه برد شديد ما البرد فسروه واي

---

(١) هذا اقرب مايظهر (٢) او الحدلة ؟ او الجدلة ؟ (٣) بالاصل تربتكم

شيء اوصل البرد الى ذلك الموضع ومن جمله فيه وليس ذلك بغريب فى قدرة الله فان الذي ركب لكم هذا البرد في كلامكم قادر على ذلك كله ولو نسبتموه اليه كما ينبغي لا كما تقولون ، وقولهم ان ادركته حرارة صار بردا ولم لا يصير نارا او رمادا او من جهالة في جهالة . — قاصمة — قولهم ان البخار اذا احتقن في الارض كان كبريتا وربما انعقد كالماء الصافى فيصير ياقوتا واذا استحكم امتزاج الدخان بالبخار كان نحاسا وذهبا وفضة ورصاصا وقالوا خرافات استحي ابن [illegible] ان كل ما عقده البرد يذيبه الحر . — عاصمة — قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه نقول لهم اين ماكنتم تهيمنون (١) به فى لطافة المعاني ودقة الالفاظ ورقة الخواطر في الرياضيات وما الذي يصير الدخان والبخار كبريتا ولم صار وهذا فى بقعة وهذا فى اخرى هلا انقلبت الحال وما معنى قولكم استحكم امتزاج البخار بالدخان والبخار عندكم مايفيض عن رطب والدخان مايفيض عن يابس والارض باردة يابسة ففاض الحار عندكم على البارد فبخره وعلى اليابس فدخنه وهلا فاض على البارد فوقف وعجز عن تاثر فيه وتدافعا

(١) او تهيمون

او اثر البارد فيه وهلا اذا بلغ الحار اليابس فاحرقه (١) كما تفعل النار بالحطب اذا كانت يابسة واذا بخرت اودخنت وكان التاثير للحار فى البخار والدخان فالذى (٢) يقلب البخار [illegible] او كبريتا او نقرة ان ادمغتكم لبقرة . وما معنى قولكم استحكم امن ذاته وبنفسه ام بواسطة من غيره وما الذى يقعد به عن الاستحكام ويجعله عزين ومن يعارضه فلا تقولون ما ينفع و كل حرف تنطقون به فجوابه منه مع ما تقدم فليرد اليه بكلمة . قال القاضى ابوبكر بن العربى رضى الله عنه انما سردنا لكم هذا كله استدراجا لتسمعوا كلامهم وتكشفوا غاية عقولهم والطريق التي بها ارادوا ان يقضوا على حقائق الاشياء بزعمهم دون الانبياء وهلا نسبوا ذلك كله الى الله تعالى وقالوا انه الخالق لذلك كله شيئا بعد شيء وطبقا بعد طبق فالقوم بجهلهم راوا تركيب شيء على شيء فنسبوا الثاني الى الاول وذهلوا او قصدوا (٣) ان ينسبوا الثاني وما بعده الي ما نسبوا اليه الاول وسموه باسماء وجعلوا له قوى . فان قيل لا يصح ان يكون شيء واحد مبدأ لشيئين بحال . قلنا هذا هو الواجب فلم احلتموه فان قالوا الى الطبع قلنا فلا

---

(١) فى خ زيادة وهلا فاض فيه (٢) لعل الاصل ما الذى (٣) ويحتمل قصروا

يكون عن الاول الا مثله ولذلك يلزم فى الثاني والثالث فمن اين جاء هذا الاختلاف فان اعادوا ذلك الكلام المتقدم من وجود التركيب باسبابه فقد تقدم الجواب عنه . — قاصمة — نبغت طائفة تسترت بالاسلام وهى تبطن عقائد الاوائل فقالت لا يفتقر في معرفة الله ولا في وجوب ذلك على كل احد الى شرع وقالت مؤكدة لذلك ان القول بان معرفة الله يقف على الشرع يبطل الشرع وذلك ان نبيا لو عرض دعواه واظهر آيته ودعا الخلق الى النظر فى قوله والايمان به وكان لاواجب الا بالشرع لقالوا له لايجب علينا في معجزتك نظر لانه لا واجب الا بالشرع ولم يتقرر بعد شرعك ولاظهر صدقك فئآل ايقاف الوجوب على الشرع الى نفى الشرع . وهذه اعظم شبهة لهم . قال علماؤنا قولا بديعا اذا ظهرت المعجزة فقد دل الشرع واستقر الوجوب ووجب على الخلق النظر والايمان وليس من شرط الوجوب على المكلف فيما اوجبناه عليه من ذلك علمه بوجوبه انما الشرط تمكنه من ذلك وكونه بصفة من يصح منه ذلك على معنى نفى الآفات المضادة للقدرة والعلم عنه ولهذا قال علماؤنا لا يصح قصد التقرب الى الله بهذا الواجب الاول لان

من شرطه معرفة المتقرب اليه ولما يحصل بعد . — عاصمة — قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه هذه طائفة لم تعلم العقل ولا عقلته ولا علمت الوجوب وقد بينا ان العقل ان افتقر الى بيان ووقع فيه خلاف فامسحوا ايديكم عن انفسكم انما ارادت الالباس على الخلق من اول اللوح فماذا ترجون فى اثنائه من البيان او كيف تبلغون الى آخره وهم يقولون انه يشترك من معانيه صحة الفطرة ومنها التجربة ومنها الوقار والسكينة وزادوا عن اخوانهم الفلسفية انه علوم ضرورية وعلوم نظرية وعملي وهيولاني وملكي وفعلي ومستفاد وفعال . اما الاول فقد ينسبوه الى ارسطاطاليس وفرق بينه وبين العلم وقال انه تصورات ومعان تحصل للنفس باصل الفطرة والعلم يحصل بالاكتساب فتلقفه الخليل منه وقال العلم معرفتان مجتمعتان فعرفت زيدا قائما حال لزيد وعلمت زيدا قائما مفعول ثان لعلمت وهذا اصطلاح بارد تلقفه الخليل رسطاليه ، وادعاه عربية ، ولا سبيل اليه بحال . لان العقل هو العلم بعينه على مانبينه ان شاء الله . قالوا واما العقل النظري فقوة في النفس تقبل بها ماهية الامور الكلية والحس يقبلها

جزئية . واما العملي فهو قوة للنفس مبدأ (١) لتحديد (٢) القوة التشوقية الى مايريده من الجزئيات . واما الهيولاني فهو كاستعداد الصبي للقبول واما الملكي فهو ان ينتهي الي حد التمييز حتى اذا عرض عليه شيء وجده به عارفا . واما الفعلي فهو الفعال قالوا فهونمط آخر وهو كل ماهية مجردة عن المادة فهو من جهة ماعقل جوهر صوري ماهية مجردة من ذاتها عن علائق المادة من جهة هي ماهية كل موجود وهو فعال لانه يخرج الفعل الهيولاني من القوة الى الفعل باشراقه عليه . قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه فما ظنك بمعلوم بين يدخل فى الاشكال فى هذه السوق الكاسدة ، ويباع البيوعات الفاسدة ، العقل كما قال الاول :

وقد ظهرت فما تخفى على احد ❀ الا على احد لايعرف القمر

وهو في لسان العرب العلم لافرق عندهم بين عقلت وعرفت وعلمت . وما رتبه النحاة من الذات والصفات في العبارات لا ينبني عليها حكم لان العرب لم تنتح به ماانتحوا . ولا اضمرت ماضمروا والقوم مشكورون على مارتبوا غير ما (هـو به بهم) (٣) فيما قرروا من

---

(١) (٢) هذا اقرب ما يظهر فى الاصل (٣) ما بين الهلالين كذا بالاصل ولعله هكذا : (موهوا به)

المعاني وصوروا . والخلق — كما قال الله عز وجل — والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ثم يخلق له العلم العقل المعرفة التمييز الادراك التفطن الذكر الى آخر الخطط والاسماء رتبة بعد رتبة وشيئا بعد شيء وليس فيه استعداد لذلك من عند الله فيه الا ما ينسبه له كما ينسبه فى الشجر والحجر وطرف الظفر والانملة لا يختص ببنية ولا يلزم بحالة فان جرى شيء من ذلك على صفته فهي عادة ولا علة وحالة عارضة باتفاق من صنع الله وارادته لا واجبة فى مخلوقاته ويخلق له علما مركبا على علم يجده متساويا فى ثمرته وافدته فيكون تجربة فان ظهر على اقواله وافعاله كان منتفعا به لانه المقصود منه وان لم يظهر نفي عنه لوجهين قد تقدما فى قوله لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مومن احدهما كمال العلم من طرفه والثانى نفي ذاته اذ لم تظهر فائدته في تلك الحالة . فاما القول بانه علم ضرورة فانما تعلق به المتكلمون من علمائنا لانهم رأوا انه لا يبتلي الله باوامره ونواهيه الا من جعل فيه مقدمات من علومه فتلك المقدمات لما سماها الله عقلا ظنوا انه كالعقل ولا يلزم ذلك لان الله قد سماه علما فقال ان فى ذلك لايات لقوم يعلمون كما قال ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون .

واما قولهم ان النظر قوة فى النفس تقبل بها الماهية للامور الكلية فهو العلم السابق لما يكون بعده ويترتب عليه وتسميته قوة مجاز لامعنى له . وقولهم يقبلها كلية والحس يقبلها جزئية كلام فاسد بل يقبلها جزئية تامة الا انه بتدريج والحس يقبلها جزئية كرة نعم من المحسوسات ما لا يحصل الا كليا وهو الاكثر . واما قولهم ان العملي قوة هو مبتدا التشوق فهي دعوى مالا يوجد وعبارة لا تفيد اما (١) قوة فلا معنى لقولها . واما قوله تحريك القوة التشوقية فكانهم يريدون الفكر وهو ترديد النظر فى التطلع والتشوق الى المطلوب وهى كلها معارف وعلوم تجمع وترتب لتفيد وهو الذي يسمى النظر . واما قولهم ان الهيولي هى الاستعداد فمجاز بعيد لان استعداد المحل لا (٢) يكون عاقلا لايسمى عقلا الا مجازا بعيدا كما (٣) تسمى النطفة انسانا لاستعدادها للانسانية . واما قولهم فى الملكي فانما عبروا به عما حصل من العلم وملكة الانسان فهو يتوصل به ويتوسل الى ماوراءه . واما قولهم ان الفعلي هو الفكر فلا يصح ان يسمى فعليا لان الذكر ليس بيد المرء لطول المدخول عنه (٤) فلا يرده ابدا اليه الا ان يرده اليه واهبه ابتداء

---

(١) هذا اقرب ما ظهر (٢) لعل الاصل لان (٣) لعله كما لا يسمى (٤) خ عليه

او لسبب يخلقه له عنده فالشيء بالشيء يذكر . واما قولهم ان المستفاد هو مالم يفتقر الى مادة فمعناه مالم يحتج الى ان يقتنص بنظر ولا يسعى فى تحصيله . وهذا كله يبين لكم انه علوم بعضها يتلو بعضا ويتوالى مع البعض لاسيما على مذهبهم فى يلي وتوالى على مايفسر فى موضعه . قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه واما قولهم فى الفعال فذلك هو الداء العضال هو المبدا الاول عندهم الذي عن ذاته صدر الكل من عقل وبسيط ومركب وكرة ومربع وحار ورطب وبارد ويابس ولكن اختاروا له العقل لشرف الاسم دون الكثرة وغيرها من الاسماء فله ماهية في ذاته عندهم وهو مادة كل ماهية اذ يخرج الهيولي الى الصورة والفعل بفيضان نوره عليه لابعلم ولا بقدرة ولا بايثار ولا بشيء من تلك المعانى الواجبة له . وقد تبين لكم ان هذه اسماء لافائدة تحتها ، وتهويلات لاطائل وراءها . قال القاضي ابوبكر رضي الله عنه فاذا تقرر ان العقل هو العلم اصلا ، وتقرر بيننا وبين هذه الطائفة المتسترة بعطائنا فرعا ، بنينا عليه غرضنا معهم . وقلنا لهم اذا كان العقل هو او نحو منه او صفة يتاتى بها درك العلوم وكان الوجوب عبارة عن فعل يتعلق به الذم عندنا او العقاب عندكم

فاي معنى يربط احدهما بالاخر ابدا . وتحقيقه ان الوجوب ليست بصفة تقوم بالموجب كسائر صفات المعانى القائمة بالذوات وانما هو عبارة عن لزوم الفعل لفاعله واللزوم عبارة عن قول صدر عن الموجب الملزم لم تحصل فيه مثنوية ولا مكن فيه من تركه ان كان من طريق الابتلاء . وان كان من طريق الضرورة الادمية كشرب العاطش واكل الجائع فهو عبارة عن استدعاء النفس فعلا قام بذات المستدعى له داع اليه يذهب به (١) ماقام به او يطلب اليه ماينتفع به . ومعرفة الله حسنة مكتسبة بامره فمالم يكن منه امر لم يكن لها وجوب لاسيما وهم يقولون ان الوجوب يعرف باستحقاق العقاب وذلك خبر عن فعل يقع عقيب فعل وذلك لا يعلم الا بالخبر او العادة وشيء من ذلك ليس عند المكلف . فان قيل قد تقدم انه يقوم بذات المكلف خاطر بان له ربا انعم عليه وان ذلك يعين شكره ويحضر خاطره انه ان شكره اثابه وان ترك ذلك استحق عقابه فيستحثه عقله على تخليص نفسه . قلنا هذه مقامات فاسدة فى ذاتها فاسدة بنقصانها . اما قولهم انه يقوم بذات العبد ان له ربا فانه كلام

(١) خ اليه

ملتبس ابتدى به زركب عليه مثله اما تصوير قيام هذا الخاطر بالقلب الفارغ عن امثاله ففرض محال عادة فان المرء انما يعقل عند نشأته منافعه الحسية وملاذه ووجه طرق تحصيلها باسبابها التى تشاركه في جملتها وتفصيلها البهيمة وغيرها اذ كل نفس سواها ربها والهمها فجورها وتقواها وعبر عن المنفعة بالتقوى وهى منها وعن المضرة بالفجور وهى منها بحكمة عظيمة بيناها في امالي انوار الفجر . فاما النظر في الصانع وحقيقته ، والخاطر على اصل الوجود وصفته فلا ينشأ في الخاطر ابتداء في العادة بحال الا ان يقرن بسماع امثاله من اشكاله فيما هو عليه من اصل الفطرة لتوضح (١) الجادة التى يتفطن لها . وانما يتصور هذا كله بعد ارسال الرسل والتعريف بالاله والزام الشكر فشاع ذلك فى السنة الخلق فمن سمع التحقيق فسلك الطريق افضى به الى المورد . ومن سمع التحقيق واخطأ كامثالكم الطريق وقع فى الهلكة . وقد يرى بعضهم قوما يعبدون الاصنام والحجارة لانها بزعمهم تضر وتنفع فيرى بخاطر عارض سماوي الاهى انها ليست كذلك فيعلو بهمته الى فوق فيعبد

(١) خ فتوضح

الشعرى العبور بضيائها او القمر او الشمس . وقد يرى آخر ان هذا ليس بشيء وسمع ان هنالك دينا خيرا من هذه الاديان فيخرج في طلبها فيسمع كلاما ممزوجا فيقبله او يعرض عنه وينتظر سواه . وقد سمعنا حال قس وورقة وكلام لبيد والاعشى فى التوحيد والنابغة وذلك كله باطراف من التوحيد كانت تتعلق بهم مما بقي بايدي اتباع الانبياء عليهم السلام من مقدمات الملك . واما قولهم انه يرى انه يلزمهم شكره فاي شيء يري ذلك ان قلتم انه ينشئ له ضرورة فيلزم وجوده في جميع الخلق لاشتراكهم في الضرورات ام يخطرله نظرا فان كررتم النظر الاول فقد تقدم التقصى عنه . وان قلتم انه يحمله على المنعمين من الخلق فما افسده من نظر كيف يتشبه او يقاس من لايجوز عليه الحظ ولا يتعلق به النفع والضر ولا تقوم به اللذة ولا يتكثر بالقلة ويطلب العوض ، على ما شأنه الرغبة والحظوظة واللذة بالاسباب والتكثر من القلة ويطلب العوض وهذا تشبيه فاسد وبهذا انطلقت صفة التشبيه على الطوائف كلها خلا اهل السنة . وزادت هذه الطائفة بانها عطلت فى الصفات وشبهت في الافعال فانسلت عن ربقة التوحيد . واما ذكرهم

في الخاطر بانه (١) ان شكره استحق ثوابه فما سبب هذا الاستحقاق هل نفس الفعل فهذا محال من طريق النظر لان الشكر جزاء نعمة فكيف يستحق الجزاء على الجزاء وان كان انما يستحقه بالخبر منه عن ذلك — وتقدير سواه محال — فالقول محال لانه لم يكن هنالك بعد مبلغ للخبر . واما قولهم ان قصر استحق عقابه فما لم يكن سبيل الى استحقاق الثواب لا يتصور معه استحقاق العقاب لاتحاد الطريق . — قاصمة — نبغت طائفة قالت قولكم ان المعول المرجوع اليه هو قول الله وحكمه وان الموصل له الينا وهم رسله الذين اولهم آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وهذه كلها دعوى فان العقول ترشد الى السياسة الايالية والقوانين الحكمية وقانون التدبير الجامع للمصالح المنتظمة لعامة الخلق واصلاح الاخلاق وتطهير الابدان عن اوصاف النجاسات والقلوب عن اخلاق الدناءات حتى يطرد الصلاح فى الباطن والظاهر ويستمر البقاء على العيش الطيب والاستقامة الخاصة والعامة وهذه كتب الحكماء سيرهم فى انفسهم ووصاياهم لغيرهم تتضمن جميع ذلك فمن

---

(١) في الاصل بان انه

اراد النظر فيها فقد جليت له في منصتها . وكفى بعد ذلك بايضاح العقول رسلا وبمقتضياتها (١) ادلة قادة (٢) الى الغنى الذي لا يصحبه فقر . والنعيم الذي لا يقترن به كدر ، والكمال الذي لا يقترن به نقصان ، ولو عولنا في درك الحقائق على الانبياء ما كنا نقف على حقيقة ابدا فانهم يقولون نحن رسل الله ويأتون بافعال غريبة تخرج عن حد العادة فيتحدون بها على صدقهم بطريق انها فوق طوق البشر يأتي الله بها على جهة العضد لهم والتصديق لقولهم . وتلك الامور الغريبة التي يأتون بها داخلة في طوق البشر محمولة اما على خاصة ادركوها او على وجوه من الحيل نظموها على بعد وجمعوها حتى انتهت الى هذه الحالة شهروها للخلق وابرزوها ، ولو لم يكن في الدنيا الا حجر المغناطيس الذي يجذب الحديد من بعد ولا يجذب الذهب ولا هدبة الثوب (٣) ونحن نرى السحرة يأتون بالغرائب حتى ان الواحد منهم ليهزم الجيش ، ويرد الجبل الصغير تلا ، ويجرى الماء على الارض سيحا ، وينزل المطر صبا ، ويريك الجدب خصبا (٤)

---

(١) بالاصل وبقتضاتها (٢) خ مادة (٣) الجواب محذوف تقديره لكفى في اثبات الخاصية (٤) هذا كذب ومبالغة فليس هذه من مقدور السحرة لا بالحقيقة ولا بالتخييل

ولا تحسب في الحقائق فعله ولا تقبل قوله . هذا الى ما في الوصول الى حالة القبول من الرسول من العقاب التي يقطعها (١) بازل، ولا يكون الفكر عنها ابدا الا نازل . منها معرفة حقيقة النبوة ،واثبات كلام الله تعالى الذي يترتب عليه ارسال الرسل ، وجواز بعثة الله الرسل ، ومنها تعيين ما تأتى به فانها ان قالت ما نعلم فلا يحتاج اليها وان قالت ما لا نعلم فلا يقبل منها مع انا رايناهم يقولون اشياء يردها العقل واكثر الخلق لا يقبلونها واي فائدة في مخاطبة من يعلم انه لا يقبل . ومنها وجه المعرفة بانه رسول وقد بينا ان ذلك يعسر لاشتباه الافعال لاسيما وانتم تقولون انه جائز على الله ان يعم الخلق بالضلال فما يومنكم ان يكون ما (٢) اتى به الرسول سببا لاضلال الخلق وقد قلتم ان للمعجزة ستة شروط وعلى كل شرط منها من الاشكال ما يملا القراطيس فكيف يخلص من هذا . وهذا وانتم بعد الى الان لا تدرون هل دلالة المعجزة عقلية اوعادية فمتى تقطع هذه العقاب العشر ويرتقي الى بقاع (٣) المعرفة والناس ضعفاء والشعوب كثيرة والعمر قصير والذى يدعى انه وصل قليل والالات معدومة

---

(١) لعل الاصل لا يقطعها (٢) بالاصل مأتي (٣) لعل الاصل يفاع

او متعذرة والسفر طويل لقد ابعدتم النجعة على الخلق في المطلوب . والذى يمكن ان ينظر الانسان فى امهات الفضائل وهى (١) واذا حصل عليها فما وراءها مرمى ولا بعدها مطلب ولايحتاج في ذلك الى رسالة قد ادركها خلق دون نبيء — عاصمة — قال القاضى ابوبكر رضي الله عنه . هذا مذهب ليس عليه احد من الخلق له حصافة بيد انه لما كان الابتلاء من الله بالوظائف امرا تعافه النفوس و تقف دونه القدرة وتغلب عليه الراحة وكنت النفوس الامارة بالسوء الى البطالة وكانت الجبلة مفطورة على الشهوات . وانتقاء المختار بعيد عن الخلق وبينهم وبين كمال النظر حجاب — ركن الى الدعة وتعلق بذيل العجز الاكثر في الوجود ، الا قل فى الاعتداد . وهم — وان كانوا لا يتظاهرون به لغلبة الاسلام — فانهم يبطنونه . ولم اق عليه مناظرا فى رحلتى الا ابن عمار قاضى الاسكندرية الملقب بعز الملك والقاضى حامد بن (٢) نزيل بيت المقدس المنتسب الى مذهب ابى حنيفة والقاضى ابن الكحال ولكنهم الى الفلسفة ينتسبون [٣] وعليها يعولون

(١) قال فى هامش الاصل المنقول عنه هاهنا بياض فى الاصل . ولعله هكذا « هى الحكمة والشجاعة والعفة والعدل » كما يستفاد من كلامه عليها فيما يأتي (٢) هنا بياض بالاصل (٣) بالاصل زيادة لفظة « هؤلاء »

فاما الانخلاع عن ربقة الفلسفة والشريعة فلم الحه بحال . وانا ابين بفضل الله وجه الاعتصام من هذه الضلالات ، والتفصى من مجموع هذه الشبهات فنقول ان الله تعالى قد خص هولاء بالذكر وصدهم [١] بباهر البيان فى اكرم مورد من الكلام فقال «وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء» ووجه الدلالة من هذه الاية الكريمة بديع مبين فى كلامنا حيث وقع بترتيب برهانه، وازاحة اشكاله باياضاح بيانه . نخبته ان الله تعالى اخبران من انكر الرسول لم يعلم الله حق علمه وامر بالاحتجاج عليهم بنبوة موسى التي صحت بالمعجزات الظاهرة ، والبراهين الباهرة وهذا القول الذي نصب الله تعالى ببيانه الدليل عليه ليس المراد به احدا من اهل الكتاب لانهم مقرون بالرسل فوقعت الحجة على منكريهم برسل الله فى ارضه الى خلقه مذا وجدهم الى محمد صلوات الله عليهم وسلامه . وخص ذكر موسى لانه اول الانبياء ظهور آية او لانه معلوم عند عبدة الاوثان من العرب المجاورة لاهل دينه فان اقروا به فهذا مثله وان انكرت العرب ومن دان دينها موسى كانكارهم لسائر الرسل فمن

(١) او صدمهم

عليكم مالم تعلموا انتم ولا اباؤكم الاصنام فذلك محال ام غيرها فمن . وليس الا الله . والتعلم لايكون الا بواسطة . ولا بد للوسائط ان تترقى حتى تقف على معلم غير معلم فهو الباري وتعليمه رسالته . وقوله بعد ذلك تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء والياء سهل المرام في التاويل مع قطعنا ان اليهود غير مخاطبين فى ذلك ولا اريدوا به . الاشارة فيه وجوه اقربها الان ان الذين انزل عليهم قد انكروه مع انه شرفهم . وكتموه (وغيروه فلا عجب منكم الذين لم ينزل عليكم ولا رايتموه فى ان تنكروه (١)) وحينئذ يجب الاعتراض (٢) لانهم خرجوا عن النظر الى التخليط فاقبل انت على ربك وذرهم فى خوضهم يلعبون حتى ياتيهم العذاب بغتة وهم لايشعرون ، ونعطف بعد ذلك عنان القول على طريقة اخرى شرعية عقلية فنقول اما مرتبة العقل فغير منكرة فى التمييز والتحصيل ودرك ما اعدله الى الجملة والتفصيل في قول من وحده ، او عدده ، فاما ان يكون العقل محصلا لجموع المعلومات فهذه دعوى حمق لا يقوم لهم قول على ساق في الدعوى والايراد والتصوير فكيف بالتعرض للدليل ، وكان كل ذى علم

(١) ما بين الهلالين مخرج على الاصل وهو اقرب ما يظهر . (٢) او الاعراض

يدعيه من اى العلوم كان يعلم قطعا انه لم يحط العقل به من اوليته حتى كانت العلماء وهم الانبياء الذين يطرقون بيانه ويوضحون قانونه. وخذ علم الهيئة فليس فى العقل استقلال ان ... ار الافلاك وترتيبها ، وطلوع الكواكب وغروبها فى مجارى مختلفة منها وتمييز المنتقل من الثابت وتفصيل انتقاله وان ادرك نفس الانتقال ويرى ما ذكروه . قيل كيف كانت كلها دعاوى لا برهان عليها حتى ان صاحب الهيئة يبرهن فاذا وقف عليه البرهان طفر فقال رصدت او رصد فلان فبينما نحن معه فى برهان عقلى اذا بنا قد خرجنا معه الى خبر تكذيبي او كذبي . وخذ الطبيعيات وترتيبها فى الشيء (١) وضبط الاستقصات في البدو وكيف خرج ماخرج منها الى الجسمية وكيف تحرك على رايهم من الهيولى الى الصورة وكيف تالفت الموجودات . وقد قدمنا عنهم فى ذلك دعاوى لا اصل لها تصلح ان يسامر بها الملوك لاستجلاب شارد المنام . وخذ ضبط صحة الحيوانات بقانون وردوه (٢) بالطب عند عدول الامزجة عن الاعتدال . وادراك النبات فى درجاته ومنافعه ومضاره هل يتفق

(١) لعله النشىء (٢) خ الى الطب

فى المعقول ان يدرك ذلك احد بقضيات العقـول . اما انه اذا رتب له قانون او ذكر به تمثيل او نصب له دليل امكن ان يتـوصل به الى ما يقتضيه وضعه . وخذ النجومى فانه يقال له ايها الحاكم على ما ياتى بما يرى من نصبه ويطلع اليه من رتبه . هل علمت ذلك بتجربة استمرت بها العادة فى وضع النصب ومقارنة الحوادث لها .فهذا باطل من اربعة اوجه الاول ان النصبة كم مرة عادت عليك حتى تبت (١) عيلها او قل طريقا ، حتى ترى عليه ما لم تحتسب تحقيقا الثانى ان يقال لهم كيف تحكمون للعقل بادراك ما لا يدرك ، وتسلكونه فى غير مسلك. الثالث انهم يزعمون ان النصبة لاتعود على هيئتها الا بعد ستة وثلاثين الف عام فمتى تكررت مرتين او ثلاثا حتى علم الترتيب عليها فى كون الحادث (٢) الرابع ان ترتيب الحوادث على الكواكب وتعليقها بتاثير [٣] الافلاك لا يليق على الجملة بما قدمناه من منعهم عن ذلك فكيف بترتيب الافعال كلها على التفصيل عليها مع ما فيها من التعارض والتضاد من عمر او كسب . والعجب من ترتيبهم الاثنى عشر برجا على اثـني عشر بيتا اسكنـوا فيها من

---

(١) او بتيت (٢) خ الحوادث (٣) في الاصل بتاثر

الحوادث مالا نسكن ونسبوا اليها ما لا ينسب [وقد احكمنا في المتقدم من الكلام وجه قطع الحوادث عن الافلاك والكواكب حتى لا يبقى متكلم الا بدعوى لا برهان عليها](١) ومتى تكلمت مع منجم لا تتكلم معه فى وضع الا فلاك لئلا يرجع لك مهندسا فيقاتلك بغير سلاحك ولكن سلم له الهيئة وادفعه عن تعليق الافعال بها فانه لا حيلة له في اثباتها . واما الذي زعموه من اوضاع الحكماء فى السياسات فان اصله من الانبياء وما ابانته من الشرائع وحثت عليه من المكارم وزجرت عنه من الدناءات بما او ضحت من القوانين ووضعت من المصالح ثم درس منها مادرس وبقي منها مابقى فبنوا عليه واضافوه اليه فمنه مانقلوه على وجهه ومنه ماادركوه بما وافق الاغراض . وقام بداعية الانزجار والانتهاض . وجرى في سنن المنى والهوى . واما تطهير الابدان عن الاقذار فامر جبلي لامتعلق فيه لان الرسل لم تات لبيانه . اما انها حضت عليه وحثت ونـدبت اليه والزمت . واما تطهير القلوب عن اوضار الدناءات فبعيد ان يصدر (٢) عنه وازع من الذات فانها مركبة في الحيوانات فطرة وفى هيئة الانسان

(١) مابين الهلالين مخرج في هامش الاصل . (٢) نخ يصرف وهو الظاهر

(١) جبلة • وهو مركب على الغضب و الشهوة و القسر (٢) و الغلبة وعلى ذلك من العقل رقيب وبينهما مجاذبات كثيرة مسلمة منا ومنهم وانما يكون التطهير بعمل هو جلاء القلوب وبعد الجلا يكون الحصول بمعاملة ومقابلة ولا نطول معهم فى ان كيفية الجلا يكون بتوقيف عن بصير مبصر بل نقف معهم على المقابلة . فنقول انها لا تكون بتنبيه حتى جعله بعضهم خاطرا وقد لا يخطر الخاطر واذا وجد قد يضف (٣) ولا ينسدد فلا بد من داع ان كان له وازع والمجاهدات بين المتعارضات باب عظيم يفتقر الى قانون طويل ليس من بزهم ولا يقوم به الا العالم بتفاصيله وقانونه . فان قيل قد سطره افلاطون وسقراط والفاضل بقراط قلنا قد راينا ما سطروا . وطالعنا ما ذكروا . وتحققنا انهم قصروا ، وعدا عليهم ما ايتمروا . ولولا التطويل لسردنا عليكم من خرافاتهم ، ما ينبئ عن سخافاتهم . اللهم تخفيفا ان ذلك محمول على الترحم (٤) ومحسوب (٥) في جهله او قصده الى التخليط وهو قوم اخذوا كلام الانبياء وخصوصا

---

(١) بنية الانسان جبلة (٢) في الاصل القرس (٣) كذا بالاصل ولعل اصله يضعف
(٤) لعله المترجم (٥) او محشور

محمدا صلى الله عليه وسلم الذي اوتي جوامع الكلم باوساطه واطرافه وضم له من كل جوانبه فبدلوه وحرفوه ووضعوه على قوالب اغراضهم فاستوضعوه حتى استضعفوه وهذا لان مترجم كلامهم من اليونانية الى العربية لم يتوله عدل بل فاسق بل كافر الامستخف مهتوك رائغ لا سيما وللسعادة عندهم سبيل منجدة للامجاد، لايدركها الا الافراد ، وعليها من القواطع اسداد . سدبن سود طريقها ، وغاب بن بيض عن تحقيقها . الا ترى انهم لم يجتمعوا فيها على طاق ، ولا قامت لهم فيها دلالة على ساق . فان تطاول الى ذلك مدعين ، فقل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين • ففي كل فصل قدمناه اصل في الرد عليهم يوضح تناقضهم فلا معنى للتكرار ، واما قولهم ان ما ياتي على ايديهم من الافعال الغريبة لا يوثق به لوجودنا فى الخواص افعالا غريبة فلا معنى له فانا قد حققنا المعجزات لا بد ان تكون خارقة للعادة خرقا يتجاوز الاوهام المتعلقة بالحيل والخواص مما يعلم انها من افعال العباد خاصة ، او لا نرى ان ابراء الاكمه واحياء الموتى لا ينال بحيلة ولا يعد في خاصة ، وما عرف البارى الا بافعاله التي لا يقدر عليها سواه ، فما عرف به المرسل ، به

يعرف الرسول ، وهذه نكتة بديعة لم ازحم عليها فافهموها واعتبرها تلقوها كذلك ، وهؤلاء ارباب الخواص قد جمعوها من وجوهها وانما هي من افعال مخصوصة بوجوه مخصوصة ، فان قيل فقد رويتم ان في الارض ماء اذا جعل على الميت حيي فان قيل هذا صحيح فان كان ادركه عيسى فهي معجزة فان ذلك لا يدرك الا بتجربة جميع مياه الارض ولعل ذلك كان مخصوصا بوقت ومحل ، وايضا فان خاصة ذلك العين احياء الموتى وابراء الاكمه وصحة الابرص والاجذم من اين يكون والخواص لا تشترك افعالها ، هذا ونحن لا نجعل للخاصية طبيعة فى المحل ولا صفة تقوم به ولا قوة فيه وانما نقول ان البارى تعالى يخلق عند اقتران بعض المحال ببعض وبعض الامور ببعض ما شاء من الافعال المعتادة او الغريبة ، هذا وقد اتفق العقلاء على ان الخواص مما لا يدرك بالتجربة وانما ينال بالعلم الالاهى ، وقد يرى الطبيب فعلا بفعل (١) لا يناسبه فى الذي ادرك من طبيعته فيقول يفعل كذا بطبعه ، وكذا بخاصيته فيه ، فسمى خاصية ما لم يطرد له على قياس طبعه ، وليس هذا المقدار مما لا يدخل في (٢)

(١) اويفعل (٢) بالهامش هكذا خ تحت

الآيات ، و هبكم قلنا انه خاصية فهو [١] امر خفي انفرد الله تعالى به لعلمه بان خلقه فيه و انزله من داره التي اعده فيها لاوليائه وقد يجوز ان يكون اية للنبي اظهار علم الله الخفي على يد النبي فتكون اية و لو كان نضيره خاصية ، واما قولهم يحتمل ان يكون ذلك جبلة ، فلا بد من خروجه من مرتبة الجبل حتى يصير فى حد يفوت طوق [٢] البشر وعقلهم فيخرج بذلك عن حد النظر ، واما السحر فسل به خبيرا يعلمه يقينا ورءاه عيانا وراى البلاء به والفتنة فيه ويدري قصوره عن المعجزات بدرجه اعظم مما بين الارض والسماوات ويعلم بطلانه فى نفسه شرعا وابطاله عملا كما يعلم بطلان الكفر فى نفسه شرعا وابطاله حجة . وقد تبين انه عند المبطلين اقسام اعلاه السعلق بالكلام وادناه الحركات فى الارض بعضها على بعض فى وجه وبطريق على نحو ارادتها فى السماء فيحدث ذلك من فعل غريب وله بعد ذلك مراتب . احدها النفث فى العقد بكلام لا يتحصل . وضع الله جميع ذلك فى الارض فتنة كما اخبر وهو الصادق الحكيم . واي ذلك كان فان العصمة منه على الخاطر الفاسد ، او الالد المعاند ، من

---

(١) خ فهذا (٢) او طرق

ثلاثة اوجه الاول انه لابد من ارتفاع المعجزة عن حد ينال بما قلتم .
الثاني ان السحر يختص بحال دون حال وبشخص دون شخص
وزمان دون زمان والمعجزة عامة . الثالث ان الساحر وان رد
الجيش وخذل الجم الغفير فليس هذا بغريب فكم من جيش تفرق
بصيحة ، وكم كتيبه تبددت بكذبة . وذلك لان القلوب القلقة يوثر
فيها ادنى سبب والقلوب الثابتة لاتزعزعها الجبال . فاما سحر يهزم يوم
بدر قوما لهم العدة والكراع والشبع والطهر بقوم ليس لهم منعه الا
العري والرحلة والعزلة ، لاشكة ولا شوكة . (١) ويجعل العدد
الكثير يوم الخندق ويغلب المعاندين ويقتل المستهزئين ويفنى الحاسدين
ويصرف جميع قلوب الخلق ويعم الافطار ويدوخ الارض ويهدم
الممالك فهو الذي يعتمد عليه ، ويستند في الحق اليه ، واما قولهم ان
فيه اشكالات عظيمة من معرفه حقيقة النبوة فليس عندكم شيء ابين
منه ولا اقرب منالا . فان الانسان من حين يولد الى ان ينتهى الى
حد العقل الثاني للتمييز فى المرتبة انما يندرج عندهم في مدارج النبوة
والعقل التمييزي بالمحاورة هو المدرجه الخامسة او السادسة فاما ان

(١) كذا بالاصل

يتمادى فيطلع اليها واما ان يقع عنها واما ان يقف حيث وقف به العقل . ولا بد من الترقى عندهم من مرتبة هذا العقل وعندنا ، فاما عندهم فقوة نفسية ونور يسمونه الاهيا وليس بالاهى فى الحقيقة اذ ليس لهذا الاسم عندهم معنى يتحقق فيدرك بها جميع العلوم ويكون هذه [١] الخاصية يعبر (٢) بها عن النبوة مدركا لكل خاصة وعامة حتى يجعله بعضهم وصولا الي الله ويجعله بعضهم اتصالا حتى يقولوا انه جزء من الله او كالجزء ولقد سمعت بعضهم يقول انه نصف الله وبعضهم يجعله حلولا من الله فيه وبعضهم ينبو عن لفظ الجزء والبعضية اذ لا تنقسم عندهم تلك الذات فيعبر عنه بالاتحاد . وقد ظهر فساد هذا كله للعقلاء بما اغنى عن التعب فيه وتكلمنا نحن عليه في موضع (به دنا انه) (٣) وهم يشكلون بها ويشككون فيها ويخلطون ويقنطون (او مر هو الحق) [٤] ويقولون على الله ما لا يعلمون واما عندنا فاوضح مدلول عليه واحق حق يقصد اليه . واما ما ذكروه من كثرة الاعتراضات وازدحام الشبه فيه فالمشرب العذب كثير الزحام . ولولا تخليطكم ما نبس احد بما

---

(١) لعله بهذه (٢) لعله التي يعبر (٣) كذا بالاصل وبالهامش: خ مع دناءاته (٤) كذا بالاصل

قلتم . ولا رضي ان يتفوه ما تفوهتم ، وما اعترض احد قط على الرسل ممن كفر وعاند بما قلتم . وانما قالوا هذا سحر ولا نقبل منك معاندة او لا نفهم ما تقول ولو شاء ربك لارسل غيرك ، واما حقيقة النبوة فليست من بابكم [١] ولا يقف الامر هناك معكم وهي مذكورة في موضعها لاهلها ، واختصار معناه انها عبارة عن قول الله لنبيه انت رسول الى عبادي فبلغهم كذا عني ، واماقولهم ان الله لا يبعث رسولا فهذا كلام لا يقوله فلسفي فانه عندهم انما يكون ذلك من قبل نفسه ، وانما يعترض بهذا القدرية الذين حشدوا الاعتراضات من اي قبيل كانت ولم يبالوا ان يقولوا ما خطر لهم من تخليط قصد التشغيب ، وعلى انه ليس من الباري فنقول فيه [٢] بم علمتم استحالته اضرورة او نظرا وتدار عليهم الاقسام المعروفة وهذا ينبني على ركن التعديل والتجويز فان عندنا ان للباري ان يكلف ويامر بواسطة هي الرسل وبغير واسطة ، واما اثبات كلام الله تعالى فهذا سؤال القدرية خاصة ليس للفلاسفة فيه مدخل ، ولا خلاف انه عندنا وعندهم متكلم ، وان اختلفنا في تفصيل وصفه

(١) او شانكم (٢) خ لهم

بذلك . و نكتته العقلية فيه ان من نظر الى الخلق علم جواز انسلاكهم تحت امر مطاع و نهى متبع و ذلك يستند الى آمر وناه و هو الخالق سبحانه لايجوز لغيره ، و اما تعيين ما ياتي به فانه معلوم انه بعث ليرشد الى الافعال المنجية من اهوال الآخرة التي لا يهتدي العقل الى تفصيلها و لا يتمكن من تحصيلها و ذلك يرجع الى تفاصيل عاجلة فى الدنيا و احكام آجلة فى الآخرة و ذلك مما لا يستقل به الخاطر الذي يدعونه ، واما قولهم ان القوم ياتون بما لا يعقل فهذه جهالة قد تكلم العلماء عليها وانا احاكمهم فيها الى رؤسائهم واحبارهم و فلاسفتهم على الخالين فانهم قداجمعوا على ان معنى من معاني الانبياء لا ياتى منه الا على غاية الحكمة و في نهاية المصلحة وان من ابدع ما يدرك (١) بنور التطهير ماوصف به من الانبياء من تنويع الصلاة الى تلك الافعال وتضعيف السجود على الركوع والانحطاط بواسطة الركوع الى السجود ونصف (٢) صلاة على نصف صلاة وعلى اخرى ثلاثة ارباع وانها تركبت فى ادوية القلوب على ترتيب ادوية الابدان على تناسب غريب

---

(١) هذا اقرب ما ظهر (٢) خ نصب وهو الظاهر

وان قصد بقعة وخلع كسوة وكشف راس وقذفا بحجر كل ذلك على غاية الرياضة للنفس في ترتيب التادب واظهار المناحى الرفيعة على الجوارح . والاشارة بذلك كله الى مقاصد في القلوب بديعة فلا تسمع هذه الاعتراضات منكم لذلك (١) ولا من غيركم لان العقول عندنا لا تحسين لها ولا تقبيح اصلا ولا عند سواكم من مخالفينا اعتراض على ما تاتى به الرسل من المعانى التى لا تهتدى العقول الى تفصيلها وانما يتلقى بالتسليم لله سبحانه وكلنا نتلقاها بالانقياد الصرف . ثم نقول ان قولهم هذا في وظائف العبادات من ادراك النسب فى التقدير واظهار الحكم فى التدبير فدعوى عريضة باردة ، نعلم ان ذلك لا سبيل اليه ويا تون ما بين تمثيلهم لذلك وبين تركيب الادوية . ويابعد ما بين الحالين في المناسبة والا فكل لبيب اذا رجع الى نفسه يجد من تركيب الادوية نسبا ذكرها ارباب الصناعة لا يقدر ان يردها الى قانون ابدا ولولا التطويل والخروج الى ما ليس من الباب لذكرت لكم منها جملة حتى يقال هذا الدواء يفعل مثل هذا وان استويا في الوزن او يفعل

---

(١) فى خ زيادة اولا

في مثل هـذا (١) كلما [٢] يفعـل الاخر بخاصيتـه اي بما لا تعقل طريقته ولا يعرف تعليله ، وكذلك لو فاوضتهم في قانون التشريح فاعترضت عليهم فيما يصورونـه على طريقـة التعليـل بزعمهم بهتوا وانقطعوا ، ولقد قلت ان القلب معلوم الشكل فلم كان على تلك الصفة واللون والمقدار والوضع [٣] فهذه خمسة اسئلة لم يعرف عليها جواب ينفع ولا فائدة لكم في ذكر الانفصال عن هذا الاعتراض لانه خباط واذا كان القلب في صورته الجسمانية لا يدرك تاصيله ولا تفصيلـه فكيف بالقول في الصورة المعنوية . وتعلقها بالمعقولات فذلك ابعد لكـم معشر المدعـين فقفوا حيث وقف بكم الشرع ترشدوا . ولقد نظرت في كتاب فلطيانس في سر الخلقة وصنعة الطبيعة فرايت من الخباط ما لا عين رأت ولا خطر على قلب مجنون وكانه اراد ان يضمها الى قانون مضمار العقل فاخرجها عن اسلوب العقل . وقبل وبعد فلم تذكرون في الخبر ما تجدونه في النظر. واما قولهم لا فائدة فيها لان اكثر الخلق لا يقبلهـا فهو غباوة

(١) في خ زيادة الموضع (٢) كـذا بالاصل ولعله كما (٣) في خ زيادة والموضـع ولا بد منه لتكمل الخمسة

فان كون الحق حقا فى نفسه لا يوثر فيه رد الخلق له الا ترى ان كل ما يذكرون من الحقائق مردود عند اكثر الخلائق افيجعلون ذلك حجة عليكم فى ابطال مذهبكم فما التزموه يلزمكم . واما قولهم انه يمكن ان تكون باطلا فيما (١) يريده الله من اضلال الخلق عندكم فهذا سؤال معتزلى ليس فيه للفلاسفة مدخل وانما تتكلم به المعتزلة الذين لا يجوز عندهم ان يضل الله الخلق بفعل منه ولا بقصد والجواب عنه قد بيناه مرارا والذي تعولون عليه الان ان تقولوا بان الخبر امننا من ذلك بان الله لا يضل الخلق عموما ولا يضلهم على ايدى الرسل وانما فائدة ارسالهم تمييز المهتدى من الضال حتى يهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيى عن بينة . واما قولهم انها من العقليات او من العادات وهذا من الفصول التى عظمها الاله والامر فيه قريب فان المعجزة اذا جاءت على الشروط التى رتبناها فى المتوسط لا تخلو ان تأتى خارقة للعادة خارجة عن مقدور البشر قطعا فهذه دلالة بذاتها لنفسها لا يفتقر الى كونها مقارنة للتحدى موافقة للدعوى على الوجوه المذكورة وان كان مما يجرى عادة فوجه

---

(١) خ لما

الدلالة منها عدم المعارضة فيها كما لو قال آيتى ان لايحرك اليوم احد من الخلق يدا فسكن [١] الايدى غير متصرفة بحكم الارادة مع تعرض الارادة فنحن نعلم قطعا به صدقه . واما قولهم ان المرء ضعيف فعندكم ان احدا لا يضعف عن هذا وعندنا الذى يضعف عن هذا بآفة توجب له ذلك غير مكلف به وهذه الافة (٢) لا بد ان تكون فى البدن او فى العقل فبهذا يكون المرء ضعيفا . واما قولهم زاد النظر قليلا فليفسروا ما ذا يريدون بزاد النظر فانه مجاز يصلح للوعظ لا على طريق الدلالة وزاد النظر ان فسر فالانحن فهو عند الناس كثير كامل وذلك معرفة الطريق الى المطلوب ومعرفة الاعمال الصالحة وفى التدريج به والوصول اليه وحررها(٣) من زيادة ما ليس منها او نقصان ما هو منها ، وانتم فى المنطق بهذا تفخرون وعليه تحومون . وما اختل قط نظر الا من احدى هذه الطرق الثلاث او من مجموعها او اثنتين منها . واما قولهم ان الشعوب فيه كثيرة فلا ينبغى لهم ان يروا القذاة عندنا ويدعوها

---

(١) كذا بالاصل ولعله فتسكن اوفسكون (٢) فى الاصل الاية (٣) كذا بالاصل ولعله وحزرها

في اعينهم جداً فان شعوبكم في طريقكم اكثر ومطلوبكم اشكل وسفركم اطول ومطلوبكم اعسر دركا وهذا بين بالاختبار فافرضوا مسالة لانفسكم حتى اريكم مثالها في مرتبتها على حالها وكنت اذكرها لكم لكن اكره تنبيههم والذي تتخذوه دستورا معهم. نكتة . ابينها لكم وهو انه متى ذكروا مثالا من مبادي نظرهم فقابلهم بمثال من اوائل نظرك ومتى ذكروها من الثواني فاذكرها كذلك من ثوانيك ومتى ذكروا غاية اوطويلا كان ذلك جوابهم واراحوك من كد النظر . واما قولهم ان العمر قصير فليس هذا بشيء من الدليل وانما ..ر وعظ والعمر وان قصر فالتكليف والابتلاء الذى الزم الله العبد على قدره لا يغيض عنه شيء منه وعليه ان يقوم بحق الامر ما ارخي له في الطول وفسح له في المهل . وانتم تقولون لا دار الا هذه فلو كانت له باسرها ما كان مستوفيا املا ولا قاضيا حوجا . واما قولهم ان الواصل قليل فانه ينعكس عليهم في الذين يدعون انه الحق ومطلوب فالواصل اليه اقل وهو عندكم معدوم . وانتم تقولون ان النبوة ممكن دركها لكل احد والذى ينالها اقل من

من القليل(١)واما نحن فعندنا ممن يصل الى مطاوبه عدد رمل يبرين ومهري فلسطين . وقولهم كيف تقطع هذه العقاب الشاقة فينعكس عليهم وكذلك في قولهم ان الالات لقطعها ضعيفة مثله فى الانعكاس وهذا تكرار منهم للقول قد بينا انها قريبة قوية بابها العقل واذا ادعوا آية فليذكروها . وقولهم ان السفر طويل بل قصير بلاخلاف فان مسافة السفر هى العمر بلاخلاف وما (٢) اقله وليس بعد ذهابه سفر عندنا ولا عندهم وانما هو مقر، جنة اوسقر . واما قولهم لقد ابعدتم النجعة في ذيل الحكمة الى اخر كلامهم المتقدم فانه يقال لهم ان الذى تقدم من كلامنا في العقل والعلم يغنى عن اعادته ولكنا نثنى عليه طرف العنان لما قد ذكروه من العنان . فنقول ان وجه تغالطكم او غلطكم ان الحكمة خفيت عليكم فزعمتم انها قوة عقلية يتلقى بها العلوم من الملا الاعلا في كلام طويل يركبون عليه مقاصدهم وليس للحكمة معنى الا العلم ولا للعلم معنى الا العقل الا ان في الحكمة اشارة الى ثمرة العلم وفائدته ولفظ العلم مجرد عن دلالة على غير ذاته . وثمرة العلم العمل

---

(١) في الاصل واىما (٢) واما

بوجبه والتصرف بحكمه والجري على مقتضاه في جميع الاقوال والافعال . وبناء قول يقتضى ان تجرى الافعال والاقوال على قانون فلا يسترسل على الممكنات . وكذلك بناء حكم مثله في اقتضاء ذلك . وعلى هذين المعنيين تصرف هذان اللفظان حيث وردا والى ذلك يرجع قال (١) الله سبحانه ويعلمهم الكتاب والحكمة . وقال ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا والمعنى به فى الاول علم الكتاب وفى الثانية العلم المطلق . وليس يمتنع في اللسان العربي ان يسمى العمل بمقتضى العلم حكمة على معنى تسمية الشيء بثمرته وفائدته كما بيناه في اصول الفقه لا سيما وقد اعطاه لفظه ودل عليه وضعه . واذا ثبت ذلك فليس يهب العلم نفسه ولا يكون ذلك الا من قبل العالم الذي لا يوهب علما ولا يتصور فى جهته طريق الى تحصيل مالم (٢) يكن قبل ولا بد للاشياء من مبادي وينتهى الى مبدا لا مبدا قبله وهذا عكس النهاية فانه لا انقطاع لها والعلوم على الصفة التي تتناها منه (٣) مايوجد من الواهب ابتداء ولا سبيل الى تفصيلها ومنها مايترتب على اسباب وترتيبها على اسبابها ليس

---

(١) لعله قول ويكون فاعل يرجع (٢) هذا اقرب ما يظهر من المحو (٣) خ منها

على كل وجه يتصور ويخطر وانما يجري ذلك على قانون مدرك بالتعليم ولا يعلم آخرا الا واهب العلم اولا واذا تامل المنصف وضع (١) الاعتقادات فى النفس والاعمال فى الجوارح وتركيب بعضها على بعض راى انه امر لا يستقل به لادمى فانه امر موضوع فى اصله على تدبير فلذي دبر الوضع الاول دبر الثاني وانت اذا اضفت تدبيره اليه واحلت به عليه مع علمك بانه عارية فيه فلا باس بذلك فقد اذنت فيه الشريعة وان نت اعطيته الكل وحكمت له بانه ادركه بذاته فقد جهلت نفسك ومن لا يعلم نفسه كيف يعلم غيره . ومن كلام الناس الذي لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحكمة ضالة المؤمن يعنى بالعلم (٢) المكتسب ولما راى الناس بعضهم تقترف مايتم (٣) بضرره ويعترف قالوا انه ليس بحكيم اي ليس بعالم لان عمله (٤) بخلاف ما استقر في علمه دليل الجهل بما ادعى انه عليه . والى هذا المعنى عاد قوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن حسب ما بيناه فى شرح الحديث وغيره واشرنا اليه وكيف يصح ان يكون

---

(١) هذا فى نسخة (٢) خ يعني به العلم . وهذا اولى (٣) هذا اقرب ما يظهر (٤) فى الاصل عليه وهو غير ظاهر ،

عالما بشيء يقتحم خلافه كما لا يصح ان يضع احد راس سيفه فى الارض وذبابه بين ثدييه ويتحامل عليه وهو عالم بانه هالك ولا ان يخرج عينه بيده ومن فعل ذلك فانما هو لذهاب عقله او ليدفع بذالك ضررا اشد منه فيكون فى الاولى عاملا بغير علم وفى الثاني عاملا بعلم . وهذا المعنى اذا فهمته زده تقريرا وركب عليه ماتحتاج. فى التفهيم او فى النظر اليه . واما قضية الشجاعة . فحقيقته انما هو ثبات النفس عند حلول المصائب وذلك يرجع الى دوام العلم وحضوره فاذا كان المرء عالما بالامر فطرا (١) عليه مايذهله عما كان يعلمه صار فعله غير محصل او بعلم اخر طرا عليه او وهم لم يتعلق بالموهوم على ماينبغي او مشكل من المعنى لم يتبصر وجه كشفه واعجلته الحالة عن تحققه فاذا حضره (٢) العلم فلا يبالي عما ينزل به من مصيبة او يطرا عليه من مشكل فانه يقابله بما عنده من الكشف والايضاح ، وقد قالوا ان الشجاعة فضيلة للقوة الغضبية وهذه حقيقة يريدون ان يركبوها على دعوى يدعونها وليس للغضب قوة ولا للحمية التي يزعمون انها تنضاف اليها او تتعاضد معها لا سيما على اصلهم فى التولد فانه امر طبيعي فلم يركبون

---

(١) اووطرا (٢) في الاصل احضره

عليه مايجرى مجرى الحظة (١) التي هى عندهم فى غير طريق التحقيق . وقالوا ان التهور زيادة على اعتدال القوة الغضبية والجبن نقصان منها . وهذا كله كما يقول اهل بغداد (٢) نبأ شادوف على قذوف ليأتي منه لا فوف . .فليس لهذه الاقوال كلها معنى الا نقصان العمل بما يطرا من الافات فيصدر العمل على جهل فيقع بخلاف الطابق وخارج عن الوفق . واما العفة فيعبرون على طريقهم عنها بانها فضيلة فى القوة الشهوانية وهو انقيادها للقوة العقلية وعدولها عن زيادة الشدة وجعلوا لذلك اسبابا من الحساب فى الطعام والشراب وعملوا تقليلها على قلتها وتكثيرها على كثرتها وبنوا على ذلك حكمهم وحكمهم فيها وليس الامر كما زعموا له سيما ورءيسهم الاعظم كما قدمنا يقول ليس يوجد اعتدال بحال (وانما بنا ع ف ف بنا ك ف ف على بعض بنا ف لا ر بنا ت رك) (٣) وذلك ان الترك عبارة عن فعل وتحقيق الترك مما لم يعلمه الفلاسفة ولا القدرية وانما ادركه اهل السنة فتبين ان العفة ترك الافعال القبيحة اذا علم قبحها وتحقق مضرتها وهذه

---

(١) الحظة او الحطة او الحظ الفاظ محتملة من الموجود بالاصل ولم يظهر لها معنى هنا (٢) او بنا (٣) ما بين الهلالين هو كذا في الاصل ولم يتضح لي المراد منه

الالفاظ التي يستعملونها ليس لها عندهم اصل اذ لا قوة عندهم ولا قدرة وانما هي طبيعية غالبة ومعاني [١] مترتبة دائرة ضرورية ولا يتعلق بإيثار ولا يجرى على اختيار فيريدون ان يدمجوا لفظ [٢] الطبيعة ويخرجوا لفظ القوة ويثبتوا للجمادات قدرة وينفوا قدرة الفاعل الاول فيخلطوا ويخلطوا (٣) وينضموا هو سهم في سلك الالفاظ العربية والنبوية تيمنا بها واسترسالا للعامة عليها ويخترعوا لذلك اخبارا عن النبي صلى الله عليه وسلم لا اصل لها تلوح بالاشارات الى اغراضهم يوهمون انها امور عاصمة (٤) يقصر الحاذق عنها فيشار الى الافراد بها واما العدل فهو عندهم عبارة عن اتسان قوى هذه الفضائل الثلاث في جهة الاباء والانقياد على التناسب والسداد . ويقال لهم هناك قوة ولا قدرة والانتظام انما يكون على النظام الاسد الذي رتبه صاحب الشرع وانتم لا تدرونه . وحقيقة العدل في اللغة انه مصدر وحقيقته في الحقيقة ما للفاعل ان يفعله فذلك هو العدالة وهو العدل فلذلك كان الباري تعالى بالحقيقة وحده العدل لانه له ان يفعل ما يشاء من تعذيب جميع الخلق و تنعيمهم فيكون في العدل او الفضل كليهما

---

(١) في نسخ زيادة تجريدية (٢) موجود في نسخة (٣) او تخبطوا (٤) او غامضة

سواء . والعدل منا هو الذي يفعل ماامر به . واذا تتبعت الفاظهم التي استعاروها ليعروا (١) ويغروا بها فى تعبيرهم عن مقاصدهم يخبطون بها قلوب السخفاء القاصرين لم تجد فيها شيئا يجرى على الاستقامة فيرجع العدل والعدالة الى العلم ارتباطا لانه اذا عمل بما علم كان عدلا وقد بينا ذلك في غير موضع وهذه الاشارة تكفي في هذه العارضة

❀علاقة❀ اخبرني ابو القاسم بن المنفرج بزقاق القناديل انه سمع ابن رضوان الفيلسوف يقول حين قرأت عليه صفة النبي صلى الله عليه وسلم في حديث هند وغيره هذه الصفة لاتكون الا لنبي ولايحتاج معها فى الدلالة الى غيرها فان اعتدال الخلق يدل على اعتدال الخلق وانها جملة صدرت عن النور الساطع والحق الذي ليس عنده باطل وانه لم يأت فى طريقه ظلمة ولاآفة ولا نقص حتى خلص للوجود على نهاية الكمال في الصنع . وهذه نزعة القوم فقد قال قبله ثمامة بن اشرس ان النبوة لا تفتقر فى دليلها الى آية خارقة للعادة ولا معجزة تبهر العباد وانما يكون دليل صدقه اتساق كلامه وعدالته في نفسه وجري جميع مايأتى به فعلا او يخبر عنه قولا علي استقامة مع احكام

---

(١) كذا بالاصل

ماربطه من قانون ويبلغه الى الخلق من توظيف وسلامته من التبديج والـ ... ... ابوبكر رضي الله عنه ، امـا قول ابن رسون غير مرضي عند احد ولا تكلم به قائل عندنا ولاعندهم لان اعتدال البدن الجسماني لا يتعلق بالروحانيات عندهم ، وانما يرتبط بها ويكون فى منوال معها القلب ، وانما اراد ابن رضـوان ان يجعلها عندنا دفعة ونحن لا نقبلها منه ولانحتاج (١) اليه فيه ولا معنى لهـا فى دينه فصارت لغوا فى حقه ، واما قول ثمامة فلا يساوي ثمامة وقد بينا فيكتب الاصول ان هذا الذي ذكره هو شرط النبوة لا دليلها وانما يبقى كلامه الباقي المخذول علي مذهبهم في ان النبوة مدركة بالاختيار ، وانه الذي يضع من قبل نفسه القوانين فيرتب الامور . وهذا مما يعلم بطلانه قطعا فان من نظر الى كلام محمد صـلي الله عليه وسلم وما ابانـ من المعاني ، واوضح من المقاصد ، واخبر عنه من الكوائن ، ونظم من الترتيب وقدر من التدبير ، ودخول جمع (٢) المعانى من جميع الخلق افعالا واقوالا تحت ذلك النظام (٣) علم قطعا انه امر يفوت طوق البشر وانه لا يحصيه فيهم الا موجدهم ولا يرتبه

---

(١) هذا اقرب ما يظهر (٢) او جميع (٣) هذ فى نسخة

لهم الا عالمهم وخالقهم . وهذه غاية في العصمة . والحمد لله وانه .

انتهى الجزء الاول من كتاب « العواصم من القواصم »

للامام ابن العربي المعافرى

رحمه الله

يليه الجزء الثاني اوله . عاصمة ،

ثم نظرنا في طائفة انبعث يقال

لهم اصحاب الاشارات

الخ

تنبيه رقم عدد ١٢ هكذا ٢١ خطا . وصفحة ١٠٨ رقمت لصفحة التي تليها بـ١١٣ خطا وتسلسل عليها العدد . وصفحه ٨٠ رقمت التي تليها بـ ٨٥ خطا وتسلسل العدد

يتاكد تصحيح الكتاب بورقة الخطا والصواب

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٠٠٦	١٤	اي	او
٠٠٧	٠٦	القليل	العليل
٠٠٨	٠١	مناحي	على مناحي
٠١٨	٠٤	الحسن	الحس
٠٢١	٠٣	قبله	قلبه
٠٢١	١٣	قبله	قلبه
٠٣٨	٠٧	ترجع	ترجح
٠٤١	٠٣	انبائه فى ابنائه	انبيائه في ابنائه
٠٤٣	٠٧	حيل	حيد
٠٤٣	١٦	نفجئستني	ففا جاءتني
٠٥٣	٠٧	ينمتل هذه	بمتل هذا
٠٥٦	٠١	جدث	جرث
٠٦٠	١٤	ذوي	ذو
٠٦٣	١٤	ينبيك	ينبئك
٠٦٤	٠٣	سقط بعد قوله المعصوم . قلنا ونحن اذا اختلفنا في شيء رددناه الى امامنا المعصوم الخ	
٠٦٨	٠١	يدكه	يدركه
٠٨٥	٠١	السطر الاول كله مكرر واول الثانى	
٠٨٦	١١	تتصروا	تقتصروا
٠٩٠	٨	كوكة	حركة

ص	س	الخطا	الصواب
٠٩١	١٢	الصبائع	الطبائع
٠٩١	١٤	بصدر	يصدر
٠٩٤	٠٣	اذ	اذا
١٠٣	١١	واجعة	وراجعة
١١٥	١٣	الموحين	الموحدين
١٢١	٠١	تن	عنى
١٢١	٠٤	مشارقة	مشارفة
١٢١	٠٨	تبعث	نبغت
١٢٢	٠٩	الجليلة	الجلية
١٢٢	١١	واوامرا	واقامها
١٢٣	١٤	لا يستطيع احد خرقها لا في السماء بسلم ولا في الارض بنفق .	
١٢٤	٠٤	ارتما	ارتغا
١٢٨	٠٢	بجلبنا	فحلبنا
١٢٨	٠٢	صفنا	طفنا
١٢٩	٠٥	داخله	داخلة
١٣٠	٠٨	اولى	اولا
١٣٠	٠٢	نقصد	بفضل
١٣٢	٠١	به	بك
١٣٢	١١	اذا	اذ
١٣٦	١١	فبه انهم	بيد انهم

ص	س	خطا	الصواب
١٣٧	٠١	مامن.	مايختار من
١٧٢	١٠	اللاافاظ	آلالفاظ
١٩٤	٠٤	قيل	قلتم
١٩٦	٠٥	تبدرت	تبددت
٢٠٤	١٤	الذين	الذي
٢١١	٠٢	تعييرهم	تعبيرهم

فهرس

الجزء الاول من « العواصم من القواصم

للامام ابن العربي

فهرس

الجزء الاول من الكتاب

فيه بيان العواصم والقواصم واهم المباحث



العواصم من القواصم جلد اول

